طبائع النفوس

للحكيم الترمذى

محمد بن على الترمذى المتوفى ٣٢٠هـ

وهو الكتاب المسمى بالأكياس والمغترين

دراسة وتحقيق

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح

الدكتور السيد الجميلى



المكتب الثقافى
للنشر والتوزيع

طبائع النفوس

للحكيم الترمذى

محمد بن على الترمذى المتوفى ٣٢٠ هـ

وهو الكتاب المسمى بالأكياس والمغترين

دراسة وتحقيق

الدكتور أحمد عبد الرحيم السايح
الدكتور السيد الجميلى

المكتب الثقافى للنشر والتوزيع
الأزهر - القاهرة

الطبعة الأولى بمصر ١٩٨٩

المكتب الثقافي للنشر والتوزيع
AL MAKTAP AL THAQAFY PUBLISHING & DISTRIBUTING
٩ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر تليفون ٩٠٠٩٣٨ القاهرة - مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين الذى هدى السالكين إلى طريق الحق اليقين .وفتح أمام عباده أبواب الرحمة ، ووهب الإنسان ما به أشرقت على النفس أسرار الموجودات ، وتجلت معرفة صانع الوجود .

والصلاة والسلام على سيدنا محمد المبعوث رحمة وهداية للعالمين . قدوة أهل الحق ، والباحثين عن اليقين .

أما بعد

فإن لله سبحانه وتعالى نعما تطالع الناس صباحهم ومسائهم ، وتحيط بهم من فوقهم ومن تحتهم ، وعن أيمانهم وشمائلهم ، منها المنظور والمستور ، والمعلوم والمجهول . تفيض عليهم بآثارها الملموسة فى أنفسهم وفى آفاقهم . مما غدا به الانسان أعظم أية من آيات الله فى خلقه ، تشكل أروع أداة للدلالة على وجود الخالق البارئ المصور ، وضرورة الايمان والاعتراف بفضله ، ووجوب التوجه اليه وحده بما وجب من حقه من الاجلال والتقديس ، وحتمية استشعار عظمته وسلطانه ، وتعميق الخضوع له والخشية منه ، وتاكيد الحب فيه ، ووجدان الانس به ، والاسترواح بذكره ، والشوق الى لقائه .

تلك هى العبادة الواجبة لله عز وجل . لايجد الانسان كيانه الا فيها ، ولا امتداده الا بها ، ولا وجوده الا فى الالتزام بها قولا وعملا ، وامرا ونهيا ، خلقا وسلوكا ، وواقعا وتطبيقا . لقد غدا الانسان للكون سيدا فلا أقل من أن يمضى لله عبدا ، ولحق الله تابعا . والانسان وان كان يساوق الكون فى العبادة بفطرته - فإنه ينبغى عليه ان يفوقه فى العبادة منزلة ، وان يعلوه فيها درجات تتناسب وتكوين الانسان المتميز بالعقل والارادة ، والاختيار والميول ، والنزعات والرغائب . وان يكون لهذه العبادة الاختيارية نمطها الخاص الذى يواكب الفطرة .

والحق ان السلوك الى رب العالمين هو الشامة الدائمة التى بها يقف الانسان من ربه على مكانته . متفاعلا ماضيا فى طريق الله الذى خطه له ، وارشده إليه ، وهداه به .

والسلوك الى الله سبحانه وتعالى ضرب من الخضوع بالغ حد النهاية ، وناشئ عن استشعار القلب عظمة المعبود . وليس عند القلوب المؤمنة والأرواح الطيبة ، والعقول الذاكية : احلى ، ولا ألذ ، ولاأطيب ، ولاأسر ، ولاأنعم من محبة الله ، والانس به ، والشوق إلي لقائه . وكلما كانت المحبة أكمل ، وادراك المحبوب أتم ، والقرب منه أوفر . كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم أقوى .

ولعل من بشائر اجتباء الله سبحانه وتعالى أن هيأ رجالا . وضحوا معالم السلوك الى رب العالمين على هدى القرآن الكريم ، وسنه النبى الصادق الأمين محمد صلوات الله وسلامه عليه .

ولقد كان الحكيم الترمذى ، من علماء القرن الثالث الهجرى ، من هؤلاء الرجال الذين وضعوا للسلوك القواعد ، وأصلو الاصول ، واقاموا الأسس والوسائل ، وبينوا كيفية السلوك الى رب العالمين .

وبحق كان اهتمام الحكيم الترمذى بالسلوك طابعا بارزا ترك اثاره فى مؤلفاته ومنهجه وأسلوب حياته .

ولما كانت رغبتنا الاكيدة أن تقدم للناس ما يتصل بحياتهم ويمس أخص الخصائص فيهم ، وقع اختيارنا لمخطوط « الأكياس و المغترين » الذى خص به الحكيم الترمذى السلوك الى رب العالمين . ولا يوجد ماهو أحسن من البحث فى السلوك المستقيم حيث يستبقه المخلصون ، ويسارع اليه المفلحون ، ويجعله زادا الى الله اولئك الراجون ، ووصاة يوصى بها طلاب الحق فى يقظة الحس ، وحيوية النفس ، وصحوة الضمير ، واستواء الخلق فى طريق الفطرة الصحيح .

نسأل الله أن ينفع بالكتاب إنه سميع قريب .

المحققان

كتاب الأكياس والمغترين

إن الباحث فى مؤلفات «الحكيم الترمذى» ورسائله عن أسس السلوك . يجد أن كتابه « الأكياس والمغترين » من الكتب التى خصت بالسلوك ولهذا كان بين العنوان « الأكياس والمغترين » وبين محتويات الكتاب صلة قوية تكشف عن ناحية مهمة تميز بها الحكيم الترمذى ، حيث ان الكيس عند الترمذى - كما نراه فى كتابه هذا - هو الشخص الذى يستقيم سلوكه وأخلاقه واعتقاده .ويقول الحكيم فى كتابه « الفروق ومنع الترادف » إن الكياسة : النظر فى الامور ، وحدة النظر فى دقائق الامور ، ولطائف العوارض ، حتى يزن الامور بعضها ببعض ، فينال بذلك وقارة الأمور ويتعرف جواهرها ، حتى يضعها مواضعها ، ويتحين أوقاتها ، فمن كان بهذه قل ما يغبن ، لانه يستعمل هذه الأشياء فى اعمال الاخرة»(١) .

والبحث يهدينا إلى أن الحكيم الترمذى اعتمد فى كتاب « الاكياس والمغترين» على حديث يرويه فى كتابه عن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليع وسلم « الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفس هواها وتمنى على الله الامانى»(٢) ومما يلاحظ أن كلمة الاكياس ذكرت فى عبارات معاصرين للحكيم الترمذى من ذلك ما فى كتاب«حلية الأولياء» «انه جاء رجل من الأكياس يريد ان يلقى داود الطائى فجعل لايمكنه حتى يخرج متخفيا بثوبه كأنه خائف »(٣)

ويقول الخراز : « وأعلى درجات الذين زهدوا فى الدنيا هم الذين وافقوا الله تعالى فى محبته فكانوا عبيدا عقلا عند الله عز وجل اكياسا »(٤)

والمغتر عند الحكيم : هو من يقابل الكيس . أى هو الذى لا يستقيم له سلوك ، أو اخلاق ، أو اعتقاد . لا يستقيم له أحد هذه الثلاثة أولا تستقيم له جميعا ، ويلبس عليه طريق الحق والدين ، ويزين له طريق الغرور فيراه

(١) الحكيم الترمذى (الفروق ومنع الترادف)ص ٣ مخطوط الاسكندرية .
(٢) أخرجه الترمذى وقال حديث حسن جـ ٤ ص ٦٣٨ وأخرجه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٤٢٣ وأخرجه أحمد فى مسنده جـ ٤ ص ١٢٤ .
(٣) ابى نعيم حلية الأولياء. جـ ٧ ص ٧٤٤ .
(٤) أبو سعيد الخراز الصدق ص ٤٥ .

حسنا[١]

والكياسة والاغترار عند الحكيم ، ترجع فى أصلها إلى معنى من معانى العقل والمعرفة .

أى أن الأخلاق والسلوك بينهما وبين العقل والمعرفة صلة وثيقة . فالكيس أى العاقل صاحب تقوى ويقين ، ودين .

والمغتر الذى يلبس عليه طريقه فى امره ودينه بقدرما يلبس عليه[٢] .. وهذه الصلة بين المعرفة والدين ، او بين العقل والاخلاق ، أو بين الذكاء والسلوك . هى ما عبر عنها الحكيم الترمزى فى كتبه ورسائله بعبارة « العقل والهوى »[٣]

والحكيم الترمذى يشرح الكياسة والاغترار فى ثلاثة أصناف من العلماء فيقول : « فالعالم لايزل الا بعد ما تعمى عليه النفس طريق العلم ، والجاهل يقع فى الجهل ، ويخطئ الطريق ، والحكيم لايميل الى النفس والى الدنيا الا بعد ما عمت عليه النفس . والمتأول لايسوء تأويله إلا بعد ما يخرج العلم من تلقاء نفسه مقاييسا وظنونا كمقاييس ابليس وظنونه »[٤]

والمغتر يكون فى حالة نفسية لايستطيع معها ان يهتدى الى نفسه فهو كالسكران تردى فى بئر وتكسر . ولم يعلم بذلك حتى يفيق »[٥].

والمغتر إنما يأتى ما يأتى ، وهو يحسب أنه إنما يأتى حسنا ..[٦] وبهذا يرتفع إلى اعلى طبقات العلماء والحكماء والمتدينين ، فيصيهم . ومن هنا كان كتاب « الاكياس والمغترين » نقدا إجتماعيا يتناول ظاهرة الرياء التى تدخل فى كثير من الاعمال والعبادات : كالزكاة ، والحج ، وطلب العلم ، والكسب ، والنكاح ، والاحتساب ، ومجاورة البيت الحرام ، والاعتزال والسياحة ، وتلاوة القرآن ، وأداء النوافل ، والوعظ والارشاد . والمريدين ، والصادقين ، والمتقين . وفى كل هذه الابواب يشرح كيف يفسد الرياء العمل

(١) الحسينى نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى ص ٥١ .
(٢) الحسينى نظرية المعرفة عند الحكيم الترمذى ص ٥١ .
(٣) الحكيم الترمذى شأن العقل والهوى ص ١٥٣
(٤) الحكيم الترمذى الأكياس والمغترين ص ٦
(٥) المصدر السابق ص ٤٧ .
(٦) المصدر نفسه ص ٣ .

الصالح . واذا كان كتاب « الاكياس والمغترين » يتناول هذه القضايا كلها . فإن الحكيم الترمذى قد اهتم فيه بإبراز أصول السلوك وجعلها فى الحق والعدل والصدق ، وكل اصل من هذه الاصول يستوعب منطقة من مناطق القوى الانسانية الكامنة .

الحكيم الترمذى

يعتبر الحكيم الترمذى من أعظم الشخصيات الاسلامية التى يعتز بها التاريخ الاسلامى . فقد ظهر فى فترة ازدهار علمى كانت بداية لتفتح ينابيع المعرفة التى ظلت مؤثرة فى الحضارة الانسانية قرونا طويلة .

ظهر الحكيم فى فترة حرجة كانت أحوج ما يكون الى الحكيم حيث خط المسار ، ووضع للنفس المنهاج ، حتى تستجيب لنوازعها الخيرة . وقد ولد الحكيم «ابو عبد الله محمد بن على بن الحسن بن بشر الترمذى»(١) من عائلة تنتمى الى العرب(٢) ويرجح أهل البحث أن يكون الحكيم الترمذى قد ولد عام خمسة ومائتين ، وانه عمر مائة وخمسة عشر عاما وانه توفى عام عشرين وثلاثمائه للهجرة(٣) . وكان أبوه من رواة الحديث الذين رحلوا فى سبيله ، واشتغلوا بروايته .فقد ترجم له الخطيب البغدادى ، وذكر أنه نزل بغداد وحدث بها(٤) - وقد روى الحكيم كثيراً عن والده فى كتبه المتعدده ، وكانت أمه ايضا من أهل الحديث(٥) فقد روى عنها ، وكذلك كان جده لأمه من أهل الحديث . وثبت أنه اخذ الحديث عن بعض مواطنيه .(٦) ومن كل ذلك يتبين لنا ان الحكيم الترمذى فتح عينيه اول مافتح على حلقات العلم ، والحديث ، والدرس ، وانه أحيط بهذا الجو النقى . وتلقت مسامعه أول ماتلقت كلمات الله ، واحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . يهتف بهما أبوه ، كما تهتف بهما أمه . وان الباحث فى حياة الحكيم الترمذى العامرة بالعلم يدرك أن طفولة الحكيم لم تكن عادية . لقد فتح عينيه على العلم منذ بدا يدرك ، لان أباه كان أحد علماء الفقه ورواة الحديث . وقد كان أبوه شيخه الاول . ولعله استغنى بذلك عن التردد على الشيوخ فى صباه يقول

(١) السبكى «طبقات الشافعية الكبرى» جـ ٢ ص ١٤٥ الطبعة الأولى البابى الحلبى
والذهبى تذكرة الحفاظ جـ ٢ ص ٦٤٥ ط الهند .
والبغدادى هداية العارفين جـ ٢ ص ١٥ ، ١٦ ط تركيا .
وابن حجر لسان الميزان جـ ٢ ص ٣.٨ ط الهند .
(٢) الحسينى المعرفة عند الحكيم الترمذى ص ١٣ ط دار الكتاب العربى .
(٣) الدكتور الجيوشى منازل العباد من العبادة ص ٨
(٤) البغدادى تاريخ بغداد جـ ١١ ص ٣٧٣ ط الخانجى بمصر .
(٥) الدكتور الجيوشى منازل العباد من العبادة ص ٧ ط دار النهضة .
(٦) الحسينى المعرفة عند الحكيم الترمذى ص ١٤ .

الحكيم « كان بدو شأنى ان الله تبارك اسمه قيض لى شيخى رحمة الله عليه - من لدن بلغت من السن ثمانيا يحملنى على تعلم العلم ويعلمنى ويحثنى عليه ، ويدئب ذلك فى المنشط والمكره ، حتى صار ذلك لى عادة وعوضا عن اللعب فى وقت صباى ، فجمع لى ، فى حداثنى علم الأثار وعلم الرأى»(١) .

فكان لتوجيه والد الحكيم له منذ الصبا الباكر أثر بالغ فى تعلق الحكيم بالمعرفة وطلبها . والرغبة فى الاستزادة من العلم . والاستعداد للرحلة من أجل ذلك ، كما كانت العادة جارية فى زمانه . والعلم لاوطن له ، والرحلة فى طلبه ، امر لابد منه ، حتى يتسنى للعلماء اكتساب الفوائد ، ومباشرة التلقين ، والمحاكاة من الفطاحل الاعلام .

وقد أخذ الحكيم الترمذى عن كثير من شيوخ المحدثين فى عصره ، والذى يتتبع شيوخه من المحدثين الذى روى عنهم ، يجد أنهم كثرة . ورأينا ان علماء المعاجم والطبقات الذين وضعوا الكلمات فى مواضعها ، وكانوا أدرى بسير العلماء ، وأعرف بمكانتهم ، ومنزلتهم . ورد فى كتبهم ، ومؤلفاتهم ، مايوحى بأن الحكيم الترمذى كان يتمتع بالتقدير والاجلال ، لما توفر له من علم ودين ، بين شيوخ التصوف ، والعلماء المعاصرين له ، والذين جاءوا بعده وهذا هو ابو بكر الكلاباذى المتوفى سنه ٣٨٠ هـ يذكر الحكيم فى الباب الرابع من كتابه « التعرف لمذهب اهل التصوف » : فيمن صنف فى المعاملات ، ويعتبره أحد الاعلام المشهورين ، المشهود لهم بالفضل ، الذين جمعوا علوم المواريث والاكتساب . وسمعوا الحديث ، وجمعوا الفقه ، والكلام ، واللغة ، وعلم القرآن ، تشهد بذلك كتبهم ومصنفاتهم »(٢) . ويذكره السلمى المتوفى سنه ٤١٢ ه فى « طبقات الصوفية « فيقول : « هو من كبار مشايخ خراسان ، وله التصانيف المشهوره »(٣)

وابو نعيم الاصبهانى المتوفى ٤٣٠ هـ يذكره فى « حلية الاولياء » بقوله: « انه مستقيم الطريقة يرد على المرجئة وغيرها من المخالفين ، تابع للاثار ، وله التصانيف المشهوره »(٤) .

(١) الحكيم الترمذى بدو شان ابى عبدالله ٢٢ ص ١٦ .
(٢) الكلاباذى «التعرف لمذهب اهل التصوف»٢٢ ص ٤٧ .. ط مكتبة كليات الأزهر
(٣) السلمى طبقات الصوفية ص ٥١ ط كتاب الشعب .
(٤) ابو نعيم حلية الأولياء جـ ١ ص ٢٣٣

وقال عنه القشيرى المتوفى سنه ٤٦٥ ه فى الرسالة القشيرية « بأنه من كبار الشيوخ ، وله تصانيف فى علوم القوم »(١) .

والهجويرى المتوفى سنه ٤٧٠ هـ تقريبا فى «كشف المحجوب» يقول عنه « ومنهم : الشيخ ذو الخطر ، والفانى عن أوصاف البشر : ابو عبد الله محمد بن على الترمذى ، رضى الله عنه . كان كاملا واماما فى فنون العلم، ومن الشيوخ المحتشمين ، وله تصانيف كثيرة طيبة ، وكرامات مشهورة ، مثل كتاب « ختم الولاية» وكتاب «النهج» وكتاب «نوادر الأصول » . وقد عمل كتبا أخرى كثيرة . ومحمد در ، يتيم ، اذ لاقرين له فى العالم كله ، وله كتب فى علوم الظاهر ، واسناد عال فى الأحاديث »(٢)

والامام الشعرانى يذكره فى « الطبقات الكبرى « فيقول عنه : « له التصانيف المشهوره »(٣) .

وقال عنه السبكى فى طبقات الشافعية : « المحدث ،الزاهد ، ابو عبد الله الترمذى الصوفى ، صاحب التصانيف »(٤) .

وذكره ابن حجر فى « لسان الميزان » بقوله « انه كان اماما من ائمة المسلمين له المصنفات الكبار فى اصول الدين ومعانى الحديث ، وقد لقى الأئمة الكبار »(٥) .

والذهبى فى «تذكرة الحفاظ» يقول عنه : « الزاهد الحافظ المؤذن صاحب التصانيف »(٦) .

والشيخ زكريا الانصارى يقول عن الحكيم فى «نتائج الأفكار القدسية» شرح الرسالة القشيرية : إنه الصوفى صاحب التصانيف المشهورة ، اشتهر بملازمة العبادة ، بين العباد ، وتفرد من بين الصوفية بكثرة الرواية ، وعلوالاسناد ، ناسك سلك طريق القوم ، وصل التجهد وهجر النوم ، ورحل فى طلب الحديث والعلم ، وتلفح بمروط التقوى والحلم ، لقي الاكابر ، واخذ

(١) القشيرى الرسالة القشيرية ص ٢٢ ط دار الكتاب العربى .
(٢) الهجويرى كشف المحجوب جـ ١ ص ٣٥٣ ط المجلس الأعلى .
(٣) الشعرانى الطبقات الكبرى جـ ١ ص ٧٨ ط صبيح .
(٤) السبكى طبقات الشافعية جـ ٢ ص ٢٤٥ .
(٥) الأئمة الكبار الذين يمكن الرجوع إليهم فى امهات الكتب .
(٦) الذهبى تذكرة الحفاظ جـ ١ ص ٦٤٥ .

عن أرباب المحابر ، ومع ذلك كان صدرا معظماً ، وصوفيا محدثا ضخما ، كثير الكيس واللطافة ، غزير المعارف التى تحف اخلاقة واعطافه ، تحلى بعقوده جيد زمانه ،وتأرجت الارض بعرف عرفانه ، سمع الكثير من الحديث بالعراق وغيره ، وهو من اقران البخارى(١) .

وابن الجوزى فى « صفة الصفوة » يقول عنه : «انه من كبار مشايخ خراسان له التصانيف المشهورة»(٢). وذكره بكل تقدير واجلال كثير من المؤرخين ومشايخ الاسلام كالجامى المتوفى سنة ٨٩٨ هـ(٣). والمناوى المتوفى سنة ١٠٣١ هـ(٤)، ودار شكوه المتوفى سنة ١٠٥٦ هـ(٥) . وطاش كبرى زاده(٦) وخير الدين الزركلى(٧) وابن تيمية(٨) . ويذكره العطار فى «تذكرة الأولياء» بقوله : «السليم السنة ، عظيم الملة ، مجتهد الأولياء ، منفرد الأصفياء ، حرم القدس ، شيخ الوقت ، محمد بن على الترمذى - رحمة الله عليه - المحتشم بين الشيوخ ، المحترم بين اهل الولاية ، الداعى بكل اللغات الشارح لمعانى الأحاديث والآيات . كان آية من شرح المعانى والثقة فى الاحاديث . ورواية الاخبار ، والأعجوبة فى بيان المعارف والحقائق الكاملة القبول ، العظيم الشفقة ، العجيب الحلم ، العالى الخلق ، صاحب الرياضيات والكرامات ، الكامل فى فنون العلم ، والمجتهد فى الشريعة والطريقة»(٩) .

وصاحب «كنوز الاولياء» يقول عنه : «من كبار المشايخ ، وهو مجتهد فى الشريعة والطريقة ، وله مصنفات فيهما ، ولم يقلد أحدا ، كان أعجوبة الدهر فى الكمالات العلمية ، والعملية وكان لا يتكلم إلا بالحكمة ولذا يقال له «حكيم الأولياء»(١٠) .

(١) الشيخ زكريا الانصارى نتائج الأفكار القدسية جـ ١ ص١٦٤ ط بولاق سنة ١٢٩٠ هـ .
(٢) ابن الجوزى صفة الصفوة جـ ٤ ص ١٤١ ط حيدر اباد ١٣٥٥ هـ .
(٣) عبد الرحمن الجامى نفحات الانس ص ١٣١ ط كلكلتا ١٨٥٨ م
(٤) المناوى الكواكب الدرية ورقة ٢١٢ مخطوط رقم ٢٤٩ جامعة برتستون .
(٥) دار شكوه سفينة الأولياء مخطوط ف ٨٥ .
(٦) طاشى كبرى زيادة مفتاح السعادة جـ ٢ ص ١٧١ ط حيدر اباد الهند .
(٧) الزركلى الاعلام جـ ٢ ص ١٥٦ الطبعة الثانية .
(٨) ابن تيمية حقيقة مذهب الاتحاديين ص ٥٩ - ٦٠ ط رشيد رضا .
(٩) فريد الدين العطار تذكرة الأولياء حاجى ٩١ .
(١٠) اليافعى كنوز الأولياء ورموز الأصفياء ورقة ٨٤ مخطوط المكتبة الظاهرية .

فالحكيم الترمذى – كما رأيت – متعه الله بتبحر ورسوخ فى مختلف العلوم ، وقدم ثابت فى العقيدة ، فكان له من الدروس والتأليف ما بز به سعة وشمولا ، وعمقا ، وتحقيقا ، وتتبعا ، واستقصاء ، وتنوعا ، وكثرة ..

كان رضى الله عنه صاحب فكرة واضحة ومنهج محدد ، فى رسم الصورة المثلى ، للرقى الانسانى الذى يستطيع المؤمن الحق أن يصله ، حتى يصير مثلا حيا للخير يمشى بين الناس . يضاف الى ذلك قدرته على التعمق فى المعانى ، والخوض فى الدقائق والأسرار ، واستنباطاته العميقة ، واشاراته البديعة ، ونفحاته الطيبة ، وأفكاره اللطيفة ، وهذه المثل واللطائف التى تناولها الحكيم بالشرح والتحليل ، والذكر ، وبحثها فى كتبه ورسائله ، جعلت الأبصار تتجه إليه ، وتعكف على آرائه ، تناقشها وتقبلها أو تردها ، وتعتنقها أو ترفضها ، بدأ ذلك فى حياته وبعد مماته(١). أما فى حياة الحكيم فإننا نرى أن الدراسات تقول لنا : أنه كان للحاقدين والحاسدين عليه منهج يقوم على إثارة العامة ، وحكام البلاد ، ليحققوا من وراء ذلك مآرب لهم ويصلوا إلى أغراض لهم . ونتيجة لهذا المنهج الخطير ، تعرض الحكيم الترمذى إلى ألوان من المضايقات ، والاتهامات ، والنفى ، والحيلولة ، بينه وبين الناس . وكان ذلك حينما بدا الحكيم الترمذى ، يروض نفسه ، ويتخذ مجلسا ، يتلقى فيه الاخوان السالكون العلم ومذكراته ، والدعاء ، والتفرغ ويبدو – كما يذكر العلماء – : ان هذه المجالس ، كانت تحفل بكثير من إشارات الصوفية ، ولمحات العارفين ، فى أمور لم يألف الناس الخوض فيها ، وتناولها على هذا النحو الذى يطلق فيه العنان لاشراق النفس ، ونور القلب فيلهم أهله فهما فى أية من كتاب الله . أوحديثا من أحاديث رسوله الكريم ، أو تعليلا لأمر من الأمور ، التى كانت مجالا يخوض فيه الناس في ذلك الوقت ، وكانت مثار أخذ ورد ، بين العلماء والباحثين ، وتختلف نظرتهم إليها ، وحكمهم عليها ، تبعا لاختلاف المنزع والمنهج ، والقدرة ، على الاستنتاج ، والحرية فيه ، أو تبعا لارتباط الباحث بمنهج معين ، والسير على منوال خاص ، لايحاد عنه فى تفسير الأمور وتعليلها . وقد أدى هذا الاختلاف فى المنهج والقدرة على الاستنتاج إلى أن يتناول بعضهم الحكيم بالنقد والتجريح ، وأحيانا بالايذاء والاتهام بالهوى والبدعة . مما سبب كثيرا

(١) الدكتور الجيوشى الحكيم الترمذى دراسة لآثاره وأفكاره ص ٣٢٨ .

من الحزن ، والألم ، للشيخ الكبير . ويقول فى ذلك الحكيم : « وطلبت من يعيننى فكان يكون لنا اجتماع بالليالى ،نتناظر ،ونتذاكر ،وندعو ونتضرع بالاسحار . فأصابتنى غموم من طريق البهتان ، وحمل ذلك على غير محمله ، وكثرت القالة ، وسلط على اشباه ، ممن ينتحلون العلم يؤذوننى ويرموننى بالهوى والبدعة ، ويبهتون»(١). ووصل الامر بهؤلاء الحاقدين والحاسدين انهم لم يتورعوا عن الوشاية به والافتراء عليه .

لكن الحكيم اعتبر هذه الفترة بمثابة تمحيص ، وامتحان ، ومحاولة للتغلب على نوازع النفس ، وامتلاك زمامها ، واخضاع رغباتها ، حتى لا تجمح به أو تستهويها ، مظاهر العبادة والنسك ، فتفسد عليه طريقه ، وتصرفه ، عن غايته التى كرس جهوده كلها للوصول اليها وحينما وضحت الأمور ، وانكشف التأمر ، وعرف الزيف الذى لفقه الحاقدون ، وتبيت الوشايات التى لاحقت الحكيم ، وقف القوم يحسون بحلاوة الحديث ، وطعم الكلمات ، فأقبلوا على الحكيم يطلبون الحكمة لتستنير القلوب . يقول الحكيم : «حتى اجتمع الناس ببابى من مشايخ البلد من غير أن أشعر بهم ، وقرعوا الباب ، فخرجت إليهم فكلمونى فى القعود لهم وقد كان هؤلاء الاشكال قد قبحوا أمرى عند العامة قبحا كنت اتوهم انه السقم اكثرهم لما كانوا يذيعون هؤلاء على من الكلام القبيح ، ويشنعون أمرى . ويرموننى بالبدعة من غير أن يكون ذلك من شأنى أو توهمته قط . فمازالوا يكلموننى فى ذلك حتى أجبتهم الى القعود فذكرت لهم من الكلام شيئا كأنه يغترف من البحر فأخذت منى القلوب مأخذا ، واجتمع الناس فلم تحتمل دارى ذلك وامتلأت السكة والمسجد ، فلم يزالوا بى حتى مدونى «جرونى» الى مسجد . وذهبت تلك الاقاويل الباطلة ، ووقع الناس فى التوبة ، وظهرت التلامذة ، واقبلت الرياسة ، والفتن بلوى من الله لعبده ، ورجع أولئك الاشكال الى البلاد بعد ما قويت وكثرت التلامذة ، واخذت القلوب مواعظى ، وتبين لهم أن هذا كان منهم بغيا وحسدا فلم ينفذ لهم بعد ذلك قول وأيسوا»(٢)

واذا كان لبعض الائمة أن يعلو شأنهم ، ويتألق سناهم ، وتبقي على الايام ذكراهم بما صنفوا من الكتب أو خلفوا من الأثار . فإن الحكيم الترمذى

(١) الحكيم الترمذى بدو شان ابى عبدالله ص ١٩ ، ٢٠ .
(٢) الحكيم الترمذى بدو شان ابى عبدالله ص ٢٠ ، ٢١ .

علم من الأعلام ، تشبع من الثقافة الاسلامية وكتاب الله وسنة الرسول ، عملا وسلوكا ، وتجربة وطريقا . فأهله ذلك للتصنيف واجتمع له من المؤلفات مالم يجتمع لغيره من الافذاذ ، وترك للتراث الاسلامى ، ما يزيد على ستين كتابا وأكثر من مائتى رسالة ، ولا شك أن مؤلفات الحكيم كانت ذات تأثير فيمن كانوا حوله من شيوخ ، أو مريدين يحملون ذكره وتوجيهاته .

ويذكر المستشرق نقولاهير «أن تأثير الترمذى على الصوفية بعده عن طريق مؤلفاته أوضح من تأثيره عليها بوساطة مريديه وتلاميذه . فان كثرة استنساخ كتبه ، حتى الى عهد قريب تقوم شاهدا على ما لقيته عند الناس من استحسان ورواج»[1].

ويؤكد محقق كتاب «ختم الاولياء» الدكتور عثمان يحيى : ان تأثير حكيم ترمذ فى البيئة العلمية الاسلامية كان بوساطة كتبه ورسائله العديدة التى حفظ الزمن القسم الأعظم منها لحسن الحظ ، وان بقاء اكثر مؤلفات الشيخ الترمذى فى دور المكاتب ، إن فى الشرق ، او فى الغرب لدليل بارز ، على عناية العلماء البالغة بها ، وشيوعها فى الاوساط الاسلامية المختلفة[2] ويرى المستشرق ماسنيون : ان الحكيم الترمذى علامة واسع الاطلاع يكاد يكون صاحب مذهب غزير الانتاج وكتبه لها دورها[3] .

فمؤلفات الحكيم الترمذى كانت تحظى بتقدير عميق فى المدارس الاسلامية وقد أثرت كتبه فى كثير من علماء التفسير والتصوف ورجال الطريق .

مخطوطات هذا الكتاب

يوجد من هذا الكتاب مخطوطة مودعة بمكتبة اسماعيل صائب بتركيا رقم (١٥٧١) وهى منسوخة سنة ٥٩٣ هـ .

وتعتبر هده المخطوطة الاولى التى عولنا عليها لانها اقدم واكمل نسخة رغم احتوائها على كثير من الاخطاء الانشائية .

أما المخطوطة الثانية فقد ورد عنها فى فهارس المكتبة الظاهرية بدمشق

(١) الدكتور نقولا هير مقدمة كتاب «الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب» ص١٢.
(٢) الدكتور عثمان يحيى مقدمة «ختم الأولياء» ص ٣٨ .
(٣) المستشرق ماسنيون «دراسات فى التصوف الإسلامى» ص ٢٨٧ ، ٢٩٤ .

تحت مادة تصوف رقم (١/١.٤) نسخة مخطوطة من هذا الكتاب بعنوان كتاب الرياضة للترمذى ومكتوب على الورقة الاولى بخط نسخ هذا الجزء من كلام الحكيم ابى عبد الله محمد بن على الترمذى رحمه الله كتاب «الاكياس والمغترين» .

ويقع هذا الكتاب جميعا فى ٣٧٧ ورقة .

(راجع فهرست معهد احياء المخطوطات العربية (١٧٨/١))

والمختار من هذه المخطوطة – موضوع كتابنا هذا – هو كتاب «الاكياس والمغترين» ويقع فى ١٥٢ ورقة بمقياس ٢٢ × ١٣ سم ، والمخطوطة مكتوبة بخط نسخ ، وعلى صفحتها الاولى تحليل من طلبة العلوم ، وتاريخة سنه ١١٩. ، ولم يذكر تاريخ النسخ عليها ، حتى الناسخ لم يذكر أسمه .

لكن طبيعة الخط ، والمداد المستعمل ، يجعلنا نرجع كتابتها فى حوالى القرن السابع الهجرى أى بعد عصر المؤلف بأربعة قرون تقريبا .

كذلك يغلب الظن أن تكون منسوخة عن المخطوطة الاولى لكونها تكاد تكون نسخة مطابقة لها .

(راجع الظاهرية – تصوف ٤ . ١/١ من = ١ – ١٥٥)

ولذلك فانها لم تسهم بمعاونة فعالة فى ضبط النص فى الاولى اذ لم تصنف جيدا مثل للمخطوطة الاولى .

اما النسخة الثالثة ، فتوجد بمكتبة لينبرج برقم (٧ /٢١٢) وهى نسخة ناقصة غير كاملة بها سقط وقصور ، مما حدا بنا الى اهمالها تماما وعدم الاعتداد بها ، أو التعويل عليها .

وقد أشير اليها تحت رقم ٢١٩٧ فنوهنا عن الكتاب لاهميته وقيمته العلمية .

الصعوبات التى واجهتنا والتغلب عليها

أهم هذه الصعوبات تلك السقطات ، والكلمات غير الواضحة او المطموسة ، والتى لم يمكن ان تفك طلاسمها من النسختين الاخرتين ، لكن امكن – والحمد لله – التغلب عليها جميعا اما بعزو الحديث ، الى أصله ، بالرجوع الى مظانه ، من الكتب الأخرى ، التى تناولته ، وبحث موضوعه ، أو من واقع السياق المألوف ، للحكيم الترمذى ، الذى لايختلف عليه اثنان .

وكل ما اقتضت الضرورة ، زيادته من قبلنا ، وضعناه بين معقوفين حتى لايختلط بمتن الكتاب .

هذا الجهد المضنى المتواضع ، لم يكن سهلا ، ميسورا ، لولا طول صحبتنا للترمذى ، ومتابعته فى فرائده ودرره فكان ذلك عونا لنا أى عون على فك هذه الطلاسم ، وسبر اغوارها ، وتجلية معانيها .

وحتى يخرج الكتاب الى دائرة الضوء ، ليباشر مهمته التى عمد المؤلف – رحمه الله – اليها ، وسدد نيته نحوها كان لابد من التوفر على النص ودراسته ، وشرح غامضه وبيان غريب ألفاظه ، وإيضاحها فى صورة جميلة مشرقة مشروحة مضبوطة ، معلق عليها ، منوه عنها بما يتناسب وعظمة مؤلفه ، ورقة أسلوبه ، ورصانة عبارته ، وسخاء بذله . ونرجو بهذا الذى بذلناه من جهد متواضع – أن نكون قد وفقنا إلى ما صبونا اليه .

تقييم هذا الكتاب وأهميته

كانت السيدة عائشة رضى الله عنها دائما تتمثل بقول الشاعر لبيد : «ذهب الذين يعاش فى اكنافهم» .

فكانت* تقول : ماذا كان يقول لبيد لو عاش فى أيامنا هذه ؟! ولما ماتت عائشة رضى الله عنها كان يقول هشام بن عروة بن الزبير : رحم عائشة ولبيد .. فلو عاشا الى عصرنا ماذا كانا يقولان ؟! .

وفى عصرنا هذا تفشت المرذولات ، والمقابح ، وأصبح أهل الفضل منبوذين ، وأهل الكرم مقموعين ، لقد اضت المرؤات ، ومرجت العهود ، وخفت الأمانات ، وأضحى الاسلام غريبا بين اهله ، ضارعاً فى دياره ، من هرج الفتن ، واستطارة المكايد ، من المغموزين ، الذين يكيدون للإسلام ، والمسلمين ، يظهرون غير ما يضمرون . السنتهم معنا ، وقلوبهم حرب علينا والمسلم فى كل أحواله وأطواره عزيز كريم ، والكافر خب لئيم فنسأل الله أن يدفع عنا البلاء ولا حول ولاقوة الا بالله .

لذلك كان لابد أن نتساءل : ماذا يقول لبيد وعائشة وهشام لو عاشوا فى أيامنا هذه ، ورأوا ما نراه ، وعانوا ما نعانيه ، ونكابده ؟ إن كتاب الترمذى هذا يميط اللثام ، ويسفر النقاب عن أوجاع النفس ، وأوضارها ، ويبين مداخل الشيطان للنفس الإنسانية ، وجوانب التصدع فيها التى ينزو منها على الفطرة البريئة الموحدة ، ليفسد عليها عبوديتها ، واستقامتها اعاذنا الله منه، واعاننا عليه .

من ثم فإن خطر هذا الكتاب يصبح مضاعفا ، فإن احتيج اليه فى أى عصره فنقول إن عصرنا هذا أشد احتياجا إليه وتعويلا عليه فى الاحتراس والتحرز من مكايد الشيطان لعنه الله ، لشدة صولاته وجولاته ، فيما بيننا فانه نشط هذه الأيام نشاطا غير مسبوق فيه ، فران على القلوب ، ولبس عليها كثيرا من امور دينها ، فسيطرت الغفلة على الناس ، ونسوا آخرتهم ، وتعلقوا بالفانية وحرصوا عليها .

وجدير بالذكر أن مما يزيد فى قيمة هذا الكتاب ، انه فريد فى موضوعه ، وقد تأثر به شيخ الاسلام ابن تيمية فى كتابه القيم الفذ :

«رفع الملام عن الأئمة الأعلام» وكذلك تأثر به الإمام ابن الجوزى فى كتابيه «صيد الخاطر» و «بستان الواعظين ورياض السامعين»(١) فلوحظ ان الموضوع واحد ، والأسلوب شديد التقارب ، رغم ان الذين اخذوا من الترمذى لم يشيروا اليه – كعاداتهم أنذاك – حيث لم يكن القدماء يشيرون الى مراجعهم إلا فى النادر من الحالات .

وأكثر المصنفات قربا من كتاب الحكيم الترمذى هو كتاب « تلبيس إبليس » لابن الجوزى بيد أن الأخير أكثر تنسيقا ، وأدق تناولا ربما لظروف واعتبارات أخرى لا محل لبسط القول فيها .

مجمل القول ، وصفوه العبارة ، أننا أحوج ما نكون الى مثل هذا الكتاب الذى يعتبر من نوادر كتب التراث الجدير ، بالبعث والنشر على أوسع نطاق .

وقد تلخص عملنا فى الآتى :

دراسة النص دراسة علمية ، وتصويب ما ورد فى النص من تصحيفات وتحريفات ، وتبرئته من الأخطاء الانشائية والنحوية الشائعة ، التى لم تخل منها صفحة بل يوجد فى بعض الصفحات ما يربو على عشرين خطأ أو نحو ذلك .

حاولنا قدر المستطاع ، ايجاز الشروح والتعليقات ، إلا فى الأحوال الضرورية حتى لا نقطع على القارئ استرساله مع المؤلف رحمه الله فى رحلته الشائعة الممتعة .

والله سبحانه وتعالى الموفق والهادى الى سبيل الرشاد .

د. أحمد السايح   د. السيد الجميلى

(١) نشر هذان الكتابان بتحقيق ودراسة السيد الجميلى بدار الكتاب العربى ببيروت لبنان .

كتاب

الاكياس والمغترين

من كلام الحكيم ابى عبدالله محمد بن على الترمذى
الشهير بالحكيم الترمذى

(مخطوط ينشر لأول مرة)

تحقيق وشرح

الدكتور
احمد عبد الرحيم السايح

الدكتور
السـيد الجميـلى


ثم كتاب الاكياس والمغترين بعون الله ومنه
والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد نبيه وآله وصحبه وسلامه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ، ولى الحمد ، واهله ، والصلاة على رسوله ، نبيه ، وعبده

أما بعد : فانا وجدنا ، دين الله ، عز وجل ، مبينا على أركان ثلاثة:(١) على الحق ، والعدل ، والصدق . فالحق على الجوارح ، والعدل على القلوب ، والصدق على العقول ، فإذا قرب غدا ، الى الميزان ، لوزن الاعمال ، وضعت الحسنات فى كفة الحق ، والسيئات فى كفة العدل ، والصدق فى لسان الميزان ، به يتبين رجحان الحسنات ، على السيئات ، كمنتهى رضا(٢) الله ، عن العباد فى عبوديتهم(٣) كل امرى اجتمع فيه ، هذه الثلاثة ، فإذا افتقد منه(٤)الحق ، من عمل ، خلفه الباطل ، واذا افتقد منه العدل ، خلفه الجود ، واذا افتقد منه الصدق ، خلفه الكذب ، فهذه الثلاثة ، جند المعرفة ، وهذه الثلاثة التى هى أضدادهن جند الهوى ، فالنفس وعاء الهوى ، المشتملة عليه بأهل الغرور ، تغرنهم نفوسهم بالهوى ، الوارد لباطل ، والجور ، والكذب ، عليهم فى امورهم .

فالمغتـــرون : يقطعون اعمارهم ، بإصغائهم ، بأذان قلوبهم ، والى نفوسهم . والى ما يورد الهوى عليهم من هذه الثلاثة ، فمن شأن النفس إذا جاءت بباطلها ، وجورها ، وكذبها فى الأمور أن تعمى(٥) على صاحبها ، وتزين له ذلك ، حتى تغره ، وتموه عليه ، حتى يدوم ذلك الغرور ، فقد اشترك فى هذه المحنة الصديقون ، والزاهدون ، والعابدون ، والمتقون ، وعلماء الظاهر ، وقل من سلم منهم ، من هذا الاغترار .

فإذا كان هؤلاء الذين هم اعلام الدين ، فى ، الظاهر ، لا يسلمون من غرور النفس ، فما ظنك بهؤلاء الخاصة ، وانما اغتروا بما زينت لهم نفوسهم ، وعظمت فى أنفسهم اعمالهم ، وجهدهم فى الصدق ، والزهادة والعباده ، والتقوى ، والعلم .

فأدتهم محاسن هذه الأشياء وبهاءها ، وسيما الهدى الذى يتولد عن هذه

---

(١) غير واضحة فى المخطوطة وقد وضعناها تمشيا مع السياق

(٢) رضا الله اى رضاؤه بالقصر والمد .

(٣) غير واضحة بالاصل المخطوط

(٤) ما بين المعقوفين اوردناه من مفهوم السياق

(٥) تعمى على صاحبها : تضلله ، والعمى للبصر ، والعمه للبصيره ، يقال عمى على العدو امره اذا خفى .

الأشياء ، فغطت هذه المحاسن ، مساوئ الباطن منهم ، وستر إليها ذلك منهم عليهم ، فقطعوا أعمارهم مغترين ، فقدموا على الله عز وجل ، قد زين لهم سوء أعمالهم ، فرأوه حسنا ، وصدوا عن السبيل « وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ماكسبوا ، وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن » (١) كل قد أخذ بحظه من الاستهزاء بأمر الله على قدره ، وكذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه (٢) كالمستهزئ بربه» . فمن الذنوب ظاهر ومنها باطن ، وقال عز وجل فى تنزيله «وذروا ظاهر الاثم وباطنه» (٣) فمن المؤمنين من ترك الظاهر ، ولم يترك الباطن ، ومنهم من ترك الظاهر والباطن ، فعلا ، ولم يتركه آصغا وفكرا ، وترددا ، وتشهيا ، فهذا لم يخل بعد منها .

والمؤمن لما عرف الله وحده ، واطمأن اليه ، فاستحق اسم الاسلام ، فسمى مسلما ، ثم جاءت النفس على إثر هذا لشهواتها ، وقائدها الهوى ، وسابقها قدر الله عزوجل وقضاؤه ، فلم تزل تغزو وتخادع صاحبها حتى صرعته ، عن الاستقامة ، وأزلته عن المركز (٤) .

ومثل ذلك كمثل صاحبى الشطرنج اجتمعا عليه ، فاقتسما المنازل ، فلم يزل أحدهما بذلك اللعب ، يأخذ منه منزلا ، منزلا ، ويتقدم ، حتى أخذ المنازل كلها واسره .

فالهوى شطرنج النفس ، لا يزال يعالج ، ويمارس أحد منازل الحق ، منزلا منزلا ، حتى ترك القلب خاليا من الحق وبأسره ، فالمغتر بغمارته (٥) وحمقه يغتر للنفس ، ويصغى بأذنى قلبه ، الى ما تأتى به ، والهوى فى ظل النفس يلقى الشئ بعد الشئ ، إلى النفس ، والنفس الى القلب فى سترها وتمويهها فإذا قبل القلب منها ، فهو مغتر بغرورها ، فلا يزال هذا شأنها ، حتى تجد

(١) الزمر : ٤٧ - ٤٨ قال ابن قتيبه (رحمه الله) : يقال : إنهم عملوا فى الدنيا أعمالا كانوا يرون انها تنفعهم ، فلم تنفعهم مع شركهم .
راجع تفسير غريب القرآن ص٣٨٤ بتحقيق السيد احمد صقر .

(٢) لأن استغفاره لو كان صادقا لصرفه عن القيام على الذنوب .

(٣) الانعام (٦/ ١٢٠) قال الطبرى «مقصود به جميع ما ظهر من الاثم ، وجميع ما بطن» من جامع البيان (١٢/٨)وقيل : ان ظاهر الاثم : الزنا ، وباطن الاثم : المخالفة .

(٤)أزلته عن المركز : أبعدته عنه

(٥) الغمارة : من الغمز ، وهو أن يقال رجل غمر ، بسكون الميم وضمها ، اى لم يجرب الامور ، غمارة المرء يقصد بها غفلته لعدم تجريبه للامور .

فرصة فتثب وتشد على القلب فتأسره ، فبعدها يذل القلب ويخضع لها ، فى كل ما تدعوه اليه ، حتى تنقله من الصغائر إلى الكبائر ، ومن الستر إلى الهتك .

أخبرنا أبى رحمه الله ، عن صالح بن محمد ، عن عمر بن هارون ، حدثنا قدامة بن موسى بن قدامة ، بن مظعون ، يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «إن مما أتخوف على امتى زلة العلماء ، وميل الحكماء وسوء التأويل» (١) .

قال أبوعبدالله رحمه الله : فهؤلاء كلهم ، أهل الغرور فالعالم لا يزل الا بعد ماتعمى عليه النفس ، طريق العلم ، والحق ، حتى يقع فى الجهل ، ويخطئ الطريق .

حدثنا ابى رحمه الله ، حدثنا عبدالله بن مسلمة ، المقتبى عن كثير بن عبدالله ، بن عوف المزنى ، عن ابيه ، عن جده ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال «ان اخوف ما اخاف على امتى من بعدى زلة عالم ، وحكم جائر ، وهوى متبع » فهذا معناه عندنا ، والاول سواء ، والحكم الجائر : هو الحكيم الذى يميل ، والهوى المتبع ، هو سوء التأويل ، فالمعنى فى الحديثين سواء ، واللفظ مختلف ، فهؤلاء كلهم أهل الغرور ، فالعالم لا يزل الا بعد ما تعمى عليه النفس ، طريق العلم ، والجاهل يقع فى الجهل ويخطئ الطريق ، الحكيم لا يميل إلى النفس ، والى الدنيا ، إلا بعدما عمت عليه النفس ، والمتأول يسوء تأويله بها ، بعد ما يخرج العلم من تلقاء نفسه مقاييسا وظنونا ، كمقاييس إبليس وظنونه ، حيث قال : أنا خير منه ، خلقتنى من نار وخلقته من طين» .

فهذا كله من عمل النفس والهوى ، شبهت على صاحبها بما أورد الهوى شبهت على صاحبها بما أورد الهوى عليها من الباطل ، والجور ، والكذب فاغتر القلب بما جاءت النفس به ، مستورة تلك الاشياء ، بمحاسن الظاهر ، وبهاء الشمائل ، فظاهرها حسن بهى ، وباطنها مدخول قبيح ، قال الله تعالى فى تنزيله «الم يأن للذين امنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست

(١) لان المجتمع الذى يزل علماؤه ، ويميل حكماؤه ، ويكثر متأولوه ، لا يبقى فيه من الخير شئ .

قلوبهم وكثير منهم فاسقون اعلموا ان الله يحيى الارض بعد موتها قد بينا لكم الايات لعلكم تعقلون»(١) فالذين اوتوا الكتاب ، خشعت القلوب منهم ، لنزول الحق عليهم ، فلما أمهلوا فى الدنيا ، وأمدوا بالنعم ، طالت المدة ، ووجدت النفس ، سبيلا إلى الغرور ، فغرتهم ، حتى افتقدوا الخشوع وقست القلوب ، قسوا على أمور ربهم ولعنوا قال الله تعالى : «فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم»(٢) فاذا ذهب الخشوع ، خلفه الجبرية ، والاقتدار ، فبطر النفس ، فهناك تنقطع الرحمة(٣) والمدد من الله عز وجل ، فيقسوا القلب ولا ينقاد لأمر الله . قال له قائل : صف لنا من هذه الثلاثة الاصناف ، من كل واحد ، طرفا منه ، نعقل منه .

ما : زلة العلماء ، وميـل الحكماء ، وسوء التأويل ؟ قال : «أما زلة العلماء ، فمثل هذا السراب ، الذى يذهب العقول ، فإن الله تبارك وتعالى ، خلق العقل ، فقال له فيما روى عنه : اقبل فأقبل ، ثم قال له ادبر ، فادبر ، فقال : وعزتى ما خلقت خلقا احب الى منك فبك آخذ وبك أعطى ، وإياك اعاتب ، ولك الثواب ، وعليك العقاب» .

قال ابو عبدالله رحمه الله (٤) فمن الله بالعقل ، على الموحدين ، وجعل الاذهان من الادميين ، فبالذهن يميزون الأشياء ، وبالعقل يميز الموحدون من المحاسن والمساوئ ، فحرم ربى لذلك شرب الخمر(٥) فى تنزيله ، ثم أعذر إلى عباده فى تحريمه فقال هو «رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون» (٦) ثم قال «انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء فى الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة» (٧) وأنتم مؤمنون إخوة

---

(١) الحديد (١٦/٥٧ ، ١٧) قال ابن عباس (رضى الله عنهما) : قست قلوبهم بميلها إلى الدنيا ، واعراضها عن مواعظ القرآن ، وقال ابو حيان فى البحر المحيط (٢٢٣/٨) : «صلبت قلوبهم حتى اصبحت لا تغفل للطاعة والخير» أ هـ . بتصرف .

(٢) المائدة (١٣/٥)

(٣) لان من علامات القسوة عدم الانقياد لأمر الله .

(٤) هو الحكيم الترمذى - رحمه الله - وهذا من الناسخ .

(٥) غير واضحة فى المخطوطة .

(٦) المائدة (٨٩/٥) أصل الرجس : النتن ، وهنا الامر بالاجتناب وهذا اقوى فى امر التحريم . وعندما يصف الخمر بأنها رجس فان فى ذلك غاية التقبيح لانه يميط اللثام عن حقيقتها لتعافها النفوس مثلها مثل كل مستقذر خبيث .

(٧) المائدة (٩٠/٥) .

بعضكم لبعض أولياء ، وبعد إذ علمكم أنه يصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة لأنها تذهب العقول ، فإذا ذهب العقل ، جاءت هذه الأشياء ، فأعلمهم الضرر ، لينتهوا بسبب التحريم ، عما حرم ، واعلمهم انه رجس ، ورجاسته (١) كما قال «فاجتنبوا الرجس من الاوثان» لأنه يدخل فى الاوثان فيصوت للكفار ، ويدعوهم الى عبادته ، فمن ثم رجاسته ، وذلك قوله : «واستفزز من استطعت منهم بصوتك» فأعطى في ذلك الصوت ما يسبى القلوب ، ولعبادة الأوثان .

واما فى الشراب ، فحدثنا محمد بن ابان ، حدثنا يزيد بن مسلم الصنعانى قال : سمعت وهب بن منبه يقول : سالت أهل حرش رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكرم(٢) فقال : «خير كثير ، ستة أجزاء ، خمسة منه حلالا والسادس حرام ، تأكله عنبا طريا ، أو تعصر منه وتشرب ، وتصبغ حتى تحرك ، قالوا وكيف تحرك ؟ قال : مدخل الشيطان خنصره فيه ثم ده ثم ده ، حتى إذا دخلت اليد فيه ، خاضه فأرمد فهو حرام ، قالوا : فما نصنع به ؟ قال تطبخونه حتى يصير مثل طلا الابل يعنى مثل القطران ، فهذا الذى زل من العلماء ، موهت عليه (٣) نفسه ، الجحمة لبطالته ، فقال : إنما الخمر ما كان نيئا لم تمسه النار ، فأما ما طبخ على النصف فليس بخمر وكذلك كل نبيذ اشتد» ، فقيل له : إن الله تبارك وتعالى ، قد أعلم العباد ، فى آية التحريم ضرره ليعلم العباد فيجتنبوه ، حتى لا يسكروا ، فيحل بهم الضرر ، فتضيع صلاتهم ، ويسهون عن ذكر الله عز وجل ، ويرمون كرامات الإيمان ، والولايات ناحيه ، ويتجاذبون ويتعادون ويتباغضون فان ما اشتد أسكر ، قال لا أشرب حتى أسكر ، قيل له فان السكر يحدث فيك بعد ما تشرب فما يدريك متى تسكر ، فان الأشربة مختلفة ، والطبائع مختلفة ، فربما أسكر فى وقت ، ولم يسكر فى وقت ، وربما اسكر على الخلاء ما لم يسكر على إثر الطعام ، ورب شراب له من القوة ما ليس لغيره قد أسكر من القليل ما

---

(١) رجاسته : رجسه .

(٢) الكرم : العنب

(٣) موهت عليه نفسه : من التمويه ، وهو التلبيس ، يقال : موه الشئ تمويها طلاه بفضة أو ذهب وتحت ذلك نحاس أو حديد وهذا من التغيير . راجع صحاح الجوهرى والمختار للرازى ص ٦٤. ط دار العلم - بيروت .

يسكر من غيره على الضعف ، فلا يدرى الشارب(١) ما يسكر وجوهر ذلك الشراب ، فاحتج بأحاديث المفتونين (٢) فاذا هو يروى عن الكلبى (٣) عن ابى صالح عن ابن عباس قال : «اذا شربت خمسة فلم تسكرك ، ثم أسكرتك السادسة فقد حرمت عليك» (٤) قلنا : هذا كذب على ابن عباس وراوى هذا رجل مفتون (٥) ، قد كرهت العلماء الرواية عنه تفسير القرآن ، والذى اشتهر عن ابن عباس فى أيدى الائمة بخلاف هذا

حدثنا محمد بن يحيى بن عبدالعزيز المروزى ، أخبرنا على بن الحسن السقفى أخبرنا عبدالله (٦) بن المبارك ، أخبرنا ابو عوانة عن ليث ، عن عطاء ، وطاووس ومجاهد عن ابن عباس ، قال «قليل ما أسكر كثيره حرام» (٧) قال عبدالله ابن المبارك رحمه الله وأخبرنا سليمان التيمى(٨) عن قيس قال : «سألت ابن عباس قلت إن لى جريرة (٩) أنبذ فيها حتى اذا غلا

---

(١) مطموسة فى المخطوطة .

(٢) الذين يتأولون - فيحملون ظاهر الالفاظ فوق ما تطيق ، وكذلك الذين يعرفون بغير مقتضى أو تجويز أو دليل شرعى - الالفاظ عن ظاهرها الى معان بعيدة تتعارض مع الأصول الثابتة المتفق عليها .

(٣) الكلبى : هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضاله الكلبى ، صحابى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قيصر يدعوه للاسلام ، وكان حسن الصورة ، حضر كثيرا من الوقائع ، وشهد معركة اليرموك وتوفى فى خلافة معاوية بن ابى سفيان سنة ٤٥ هـ راجع الاصابة (٤٧٣/١) والطبقات الكبرى لابن سعد (١٨٤/٤)

(٤) لم نجد هذا النص فيما بين ايدينا من مراجع الحديث الصحيحة .

(٥) اى مفتون فى دينه ، لانه مكذوب الرأى .

(٦) هو عبدالله بن المبارك بن واضح الحنظلى ، ابو عبدالرحمن ، من حفاظ الحديث ، كان تاجرا ، صاحب اسناد ورحلات وتصانيف ، جمع كثيرا من علوم الحديث والفقه والعربية ، وكان جوادا سخيا توفى سنة ١٨١ هـ .
راجع حلية الاولياء (١٦٢/٨) وتذكرة الحفاظ (٢٥٣/١) .

(٧) وقد ورد الحديث بلفظ : «كل مسكر خمر ، وكل مسكر حرام» رواه الاربعة واحمد فى مسنده ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٩٤/٢) وفى رواية ابى داود والترمذى «كل مسكر حرام ، وما اسكر منه الفرق فملء الكف منه حرام» عن عائشه رضى الله عنها ، وكذا صححه السيوطى .

(٨) لعله عثمان التيمى ، قاضى المدينة ، وقد توفى سنة ١٤٥ هـ .
راجع تهذيب التهذيب (١٤٣/٧) .

(٩) جريرة : تصغير جره التى من الخزف .

فسكر فورته قال : كم هذا شرابك ؟ قلت : منذ عشرين سنة وأربعين سنة قال : طالما نزوت (١) عروقك من شربه فهو حرام .

قال أبو عبدالله رحمه الله : وأخبرنا ابن عتبه بن عبدالرحمن ، عن أبيه قال : قال رجل لابن عباس رضى الله عنه : «إنا نتخذ شرابا من الزبيب والعنب وغيره ، فقال : اجتنب ما أسكر من زبيب أو تمر أو غيره» .

قال : ما ترى فى نبيذ الجر ؟ قال «نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نبيذ الجر» .

حدثنا على بن حجر ، أخبرنا ابو المليح الرقى ، حدثنا ميمون بن مهران قال : كنت جالسا عند ابن عباس رحمه الله ، فسأله رجل : أنشرب الباذق ؟ قال : «لا أدرى ما الباذق ، ولكن لا تشرب نبيذ الجر» .

حدثنا على بن حجر ، حدثنا ضمرة بن ربيعة ، عن سودب ، عن أبى حمزة عن ابن عباس قال : «لا تشرب نبيذ الجر وإن كان أحلى من العسل» حدثنا قتيبة .

حدثنا أبو عوانة عن أبى الجويرية قال : سمعت ابن عباس يقول : «ما أسكر فهو حرام» (٢)

حدثنا إسماعيل بن نضر ، حدثنا محمد بن بشير العبدى ، حدثنا على بن ملك العنزى ، عن الضحاك عن ابن عباس قال : «كل نبيذ يزداد على العتق جوده فهو خمر ، وهو شراب سوء» (٣) قال ابو عبدالله رحمه الله (٤) فكيف تركت قول عامة أصحاب ابن عباس واقبلت على الكلبى ، وابى صالح ؟

قال : فهذا ابن عمر يروى عنه قره العجلى عن عبدالملك بن القعقاع ؟ قال : قلت لابن عمر : أن لى رفيقا يصنع شرابا يشرب منه الشربة ، فما

---

(١) اى طالما ارتوت وشبعت .

(٢) رواه احمد فى مسنده ، وابو داود ، والترمذى وابن حبان عن جابر ، واحمد فى مسنده ، والنسائى ، وابن ماجه عن ابن عمرو ، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (١٤٢/٢) ط العلمية .

(٣) قيل هو من مخامرة العقل ، وهو موجود فى كل مسكر ، واطباق اهل اللغة على تخصيص الخمر بالعنب ، ولهذا اشتهر استعمالها فيه ، ولان تحريم الخمر قطعى ، وتحريم ما عدا المتخذ من العنب ظنى قيل انما يسمى الخمر خمرا لتخمره ، لا لمخامرة العقل بتصرف من نيل الاوطار للشوكانى (١٧٧/٨) .

(٤) اى الحكيم الترمذى وهذا من الناسخ .

يعاد يبصر أدنى راحلته (١) ، فقال ابن عمر رضى الله عنه : «كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر له شراب يصنع من هذا النبيذ ، فأرسل اليه فأوتى بقدح منه ، فأخذه فلما قربه الى فيه (٢) كرهه فرده ، فلما أدبر الرجل ، قال بعض القوم أحرام هو يا رسول الله ؟ قال: «ردوه فأخذ الاناء فصب عليه الماء فشربه» .

وحديث أخر عن ابن عمر ، قال : «شربت عنده شرابا فما دخل جوفى حتى اضطرب صدغاى (٣) من شدته . قلنا : فهذا نافع عن ابن عمر ، وأبوسلمة عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «كل مسكر خمر وكل خمر حرام» (٤)

وها هنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أحد وعشرون رجلا من صحابة وسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم عمر بن الخطاب ، وعبدالله بن مسعود ، وسعد بن أبى وقاص ، وابن عمر ، وأبو هريرة ، وعبدالله بن عمرو ، وجابر بن عبدالله ، وأبو موسى الاشعرى ، وأنس بن مالك ، والنعمان بن بشير ، وبريدة الأسلمى ، وابن عباس ، وقيس بن سعد ، وأبو سعيد الخدرى ، ووايل بن حجر ، وخوات بن خبير ، وعائشة ، وأم سلمة ، رضوان الله عليهم اجمعين ، يشهدون على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «كل مسكر حرام »(٥) وبعضهم يروى مع هذا أنه قال : «ما أسكر كثيره فالقليل منه حرام» (٦) فقوله : ما أسكر أليس قد ذم الأشر به كلها ، ؟؟

وخطب عمر رضى الله عنه على المنبر فقال ، : «الخمر ما خامر العقل »(٧) ونزل تحريم الخمر وهى من خمسة أشياء : العنب ، والتمر ،

(١) وردت فى الاصل (راجلته) وهو تصحيف من الناسخ .
(٢) فيه : فمه (٣) صدغاى : مثنى صدغ .
(٤) تقدم تخريجه . (٥) تقدم تخريجه .
(٦) تقدم تخريجه
(٧) متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم ، وذكره الشوكانى عن ابن عمر فى نيل الاوطار (١٧٣/٨) ثم عقب بعد ذلك فقال :-
«فاراد عمر التنبيه على ان المراد بالخمر فى الآية (انما الخمر والميسر) على ان المراد بالخمر فى هذه الآية ليس خاصا بالمتخذ من العنب بل يتناول المتخذ من غيره» أ هـ راجع نيل الاوطار (١٧٦/٨) .

والعسل ، والحنطة ، والشعير .

حدثنا بذلك العباس بن زرارة البشكرى ، حدثنا ابن إدريس ، حدثنا ابو حيان التميمى ، عن الشعبى قال : سمعت ابن عمر يقول : سمعت عمر يقول ، على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم : «فكيف تسخو نفس ذى عقل أن تترك هذه الروايات» ، ويقبل على حديث الكلبى ، وقرة العجلى ، ذلك ليعلم أنه زايغ مفتون ، ثم تراه اذا شرب سكر وبال فى ثيابه ، وضيع الصلاة ، وهو يقول : انما يحرم على(١) المسكر والمسكر هى الشربة التى تسكر(٢) ، والسكران الذى لا يعرف الليل والنهار يريد بذلك أن يستر على نفسه ، واذا هو يطمس الحق ، فهذه زلة عظيمة فحق على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتخوف على أمته من زلة هؤلاء ، وكذك شأنهم فى التحليل والاحاديث متواترة(٣)عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «لعن الله المحل والمحلل له» .

وعمر رضى الله عنه يقول : «لا أوتى بمحل ولا محلل له الا رجمتهما» وابن عمر رضى الله عنه يقول : «لا يزالان زانيان وإن مكثا عشر سنين » وعلى رضى الله عنه(٤) يقول : « من يخادع الله يخدعه» وابن عباس رضى الله عنه مثل ذلك وعثمان رضى الله عنه يقول : لا حتى تكون نكاح رغبه غير دلسة فهذه(٥) زلة من أباح هذا .

وقد ظهر من هذا فساد عظيم ، فترى المرأة تزوج فى السر ، فإن جاءت بولد أنكر الرجل تزويجها ، وتفتضح المرأة والعشيرة وتبطل الأنساب ، فإذا كان النكاح ظاهرا وتسامع به الناس ، لم يقدر الزوج أن ينكر ، لأن كل من يسمع بذلك ، جاز له ان يشهد به ، وإن لم يحضر عقدة النكاح ، فاذا تزوج فى السر فربما مات الشاهدان أو كانا ممن لم تقسم لهما الشهادة(٦) فاذا

(١) علىّ بتشديد الياء مع الفتح .
(٢) وهذا من الوهم والتلبيس .
(٣) الاحاديث المتواترة : هى ما رواها فى كل عصر ، منذ عصر الصحابة جمع تحيل العادة تواطؤهم على الكذب ، لكثرتهم وتباعد اماكنهم .
(٤) هو الامام على بن ابى طالب رضى الله عنه .
(٥) وردت بالمخطوطة (فهذا) وهو تحريف خطير من الناسخ .
(٦) اذ يترتب على ذلك فساد كبير ، وهو ما حذر الاسلام منه ، وأوصى بالاحتراس من الوقوع فيه .

الفساد قد ظهر ، ولنا فى هذا كتاب سميناه «كتاب العلوم» ألفته نقصا على هؤلاء المخادعين ، من أصحاب الحيل ، الذين يحتالون بما يبطلون به أحكام الدين ، يريدون ان يتخلصوا بحيلهم من أحكام لزمتهم ، ويقولون ان هذه أحكام لم تلزمنا ، فنحن نحتال فنفر(١) من لزومها : فيقال لهم قد تسترتم بهذه الكلمة ، وهذه أشياء قد خلطتموها فلبستم (٢) على أنفسكم لزمكم بما لم يلزمكم . وسنبين ذلك فى أخر هذا الكتاب ان شاء الله ، ومن ذلك قوله : «اذا أبرأت المرأة زوجها من صداقها» ، برئ الزوج ، فالبراءة فى الحكم فى الظاهر ، غير البراءة من الحق ، تلك البراءة براءة مطالبة في الدنيا ، عند حكام الارض ، فأما البراءة عند أحكم الحاكمين ، عند خصومة الحق(٣) ومطالبة اياه فهو بعيد عن هذا .

واما لميل الحكام : فالحكيم من طالع تدبير الله تعالى ، فى أمر الدنيا والأخرة ، فيقوى قلبه على ترك الدنيا ، وطلب الآخرة بنور الحكمة ، فمن قوة نور القلب ترك الحراسة ، وتجرأ على تناول الدنيا ، فمال عن مقامه ، فاضر بالأمة ميله ، لأنهم اعتزوا به واتخذوه (٤) حجة ، ذلك ان نعيم الدنيا للنفس كلها مسمومة ، وسمها فرح النفس بذلك ، والفرح يسبى القلب ، وللقلب فرح ، ففرح القلب بفضل الله وبرحمته ، بأن فضله على سائر الأدميين فمن عليه بالتوحيد ، ورحمه بأن أدام له ذلك على قلبه ورزقه الثبات على ذلك ، فكم من موحد زاغ حتى تهود(٥) وتنصر(٦) وصار قدريا(٧) ، وجبريا(٨) ومعطلا (٩) ، ومشبها (١٠) وأنواع الضلالات ، وقال فى تنزيله

(١) وردت بالاصل (فيفر) وهو تصحيف (٢) لبستم على انفسكم : من التلبيس .
(٣) غير واضحة فى الاصل . (٤) اكملناها من السياق .
(٥) تهود : صار يهوديا . (٦) تنصر : صار نصرانيا .
(٧) القدرى : نسبة للقدرية ، وهم الذين قالوا بالقدر ، واول من تكلم فيه معبد بن خالد الجهنى البصرى ، افسد بالمدينة افسادا كبيرا قال فيه الدار قطني : «حديثه صالح ومذهبه ردئ » قتل سنة ٨٠ هـ راجع تهذيب التهذيب (٢٢٥/١٠) والفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٨
(٨) الجبرى : نسبة للجبرية الذين قالوا بالجبر فى الاعمال ، وهم فرقة من المرجئة الذين قالوا بالارجاء فى الايمان . واجع الملل والنحل (١٣٩/١)
(٩) المعطله : الذين قالوا بعدم التشبيه
(١٠) المشبهة : الذين ضلوا بتشبيه ذات الله تعالى بذات غيره ، وقد بدأ ظهور التشبيه من غلاة الرافضة (لعنهم الله) راجع اعتقاد فرق المسلمين ص ٥٧.

«قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون» (١) وفرح النفس من الشهوات التى حفت النار بها ، وهى حظ إبليس من ربه ، فاذا فرحت النفس بنعمة من ذلك الفرح ، الذى جاء به الهوى ، والعدو الى نفس ابن ادم ، فوصل ذلك الترح إلى الفرح (٢) الذى فى القلب من الله ، ورحمته فغلب عليه ، وسبى قلبه ، وحجبه عن الله عز وجل ، فصار مفتونا بنعيم الدنيا ، وافتقد القلب فرحه ، وصار الفرح كله ، فرح النفس ، بالشهوات فى جسده ، واشتملت على قلبه ، واذا ذكر الله تعالى وجد قلبه خامدا ، ونفسه ذابلة ، كالثوب الخلق البالى(٣) فيكفى بهذا ضررا ، وخرابا لقلبه ، ولذلك قال فى قصة قارون «لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين» (٤) وعير الله الكفار فى تنزيله فقال : «وفرحوا بالحياة الدنيا» (٥) . فاذا لم يحبه الله عز وجل ، فماذا بعد الحب ، إلا البغض ، فهذا أعظم داء فى صدر بنى ادم .

فالحكيم إذا نزل للحراسة فخلص الى قلبه من افراح النفس شئ ، وإن دق فقد مال ، وكثر ضرره لأنه يصير مفتونا ، ويسلب الحكمة ، فمثل ذلك كمثل عقرب فى قالبها سم فهذا الحكيم عمد(٦) إليها فشد قالبها بوثاق ، كى اذا ضربته لم تفرغ سمها فى جلده ، ثم أخذها فألقاها فى كمه ، ولم يحرس ذلك الشد ولم يوثق منه ، وكان هذا من الحكماء ممن لم يشرب الترياق ، حتى تمتلئ عروقه من شرب الترياق ، ولا شد أفواه مجارى العروق فالقاها فى كمه مطمئنا(٧) إلى ذلك الوثاق ، فانحل الوثاق ، وضربته بقالبها وأودعت(٨) السم فى جلده ، فغشى عليه ، وطار عقله ، وذهنه . والكيس من الحكماء لا يأمن مع هذا الوثاق ، ولا قوى على حراسته . فالسلامة لى فى أن لا أتناولها ، فأن تناولتها فى وثاق ، فعلى كفى ، وبصر

(١) يونس (٥٨/١٠) يقول الطبرى فى جامع البيان (٨٧/١١) : (فضله : الاسلام ورحمته :) أ هـ .
(٢) كذا ورد بالاصل .
(٣) الخلق : البالى .
(٤) القصص (٧٨/٢٨) .
(٥) الرعد (٢٦/١٣)
(٦) عمد اليها : قصد اليها
(٧) غير واضحه بالاصل .
(٨) اودعت السم فى جلده : ادخلته فيه .

عينى مع الحراسة ، فان انحل رميت بها من قبل أن تتخلص من الوثاق ، عندما يهيئ رباطها ، وان اردت ان آمنها عملت فى نزع قالبها ، فهو على خطر ، حتي اذا فتح له فى عظمة الله وجلاله ، وصار قلبه فى ملك الملوك ، بين يديه ، وصار فى قبضة الله عز وجل ، فيه ينطق ، وبه يعقل ، وبه يأخذ ، وبه يعطى ، فهذا عبد قد امتلأ قلبه ، وصدره ، من الفرح بالله ، وصار حرا من النفس والشهوات ، وماتت نفسه عن الشهوات من خوف جلال الله ، وهيبته ثم جئ بالله ، فبه يأخذ ، وبه يعطى ، وهو الذى نزع القالب ، وكان غص(١) من السموم ، وسلم من الدنيا ، فان تناولها وفى نفسه بقية ، من الفرح ، فإذا به يهمل(٢) الحراسة أفتتن أو كل من اقتدى به اقتدى ، بالقناعة واعتز(٣) به ، والذى تناولها بالله كمن وصفنا من شأن صاحب القبضة ، فهو غير مفتون ، فمن رأه على ذلك لم يعتن به لأن على صاحب القبضة ، سمات تشهد قلوب(٤) المؤمنين بصحة فعله ، ألا ترى أن أبا بكر الصديق رضى الله عنه ، وعمر الفاروق ، وعثمان ، وعليا ، أختان (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رضى الله عنهم تناولوا من الدنيا (٦) فلا يظهر ضررهم على الامة ، لأن نزولهم لم يكن بميل من قلوبهم ، رأخذ ردئ على صحبة ، فلم يضر بالامة اخذهم ، والرسل من قبلهم ، ألا ترى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سلطه الله ، على فدك واموال قريظة والنضير ، فلم يكن تناوله فتنة على الأمة ، وسليمان صلوات الله عليه ، آتاه الله الملك ، فلم يصر قبوله ذلك ، فتنة على الخلق ، وابراهيم خليل الرحمن ، صلى الله عليه وسلم ، حين أوتى الأرض المقدسة ، وكذلك أيوب فى ماله وداود فى ملكه (٧) ويوسف فى مملكة مصر . فهؤلاء الرسل صلوات الله عليهم ، ومن بعدهم ، أعلام الهدى ، أئمة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كلهم

(١) غص : امتلأ .
(٢) مطموسة فى المخطوطة .
(٣) من السياق .
(٤) لان ترجيح قلوب المؤمنين ، وتواطؤهم على هذا الترجيح امر شرعى .
(٥) اختان : هم كل من كان من قبل المرأة مثل الاب والاخ ، ولكن العامة من العرب يرون ختن الرجل هو زوج ابنته .
(٦) لانهم تحصنوا منها بالورع والتقوى واليقين
(٧) اوردنا مابين المعقوفين من السياق

اصحاب اموال وتجارات فلم يكونوا بها (١) فتنة للأمة ، لانهم أخذوها بالحق، فتناولوها بقلوب ، في قبضة الله تعالى ، وبنفوس قد شربت الترياق (٢) فكان أحدهم ، يخرج من جميع ما يملك ، تورعا بكلمة ، ويخرج من جميع ما يملك تقربا الى الله ، ورغبة في الأخرة .

بلغتنا ان عثمان رضى الله عنه ساوم رجلا بشئ فماكسه فقال يا أخى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «رحم الله رجلا سهل البيع سهل الشراء»(٣) .

فقال عثمان رضى الله عنه للبائع زدتك (٤) عشرة الف ، رغبة منه في ان يدخل فى تلك الدعوة .

وعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ذهب ينظر الى حائط (٥) له ففاتته ركعة .. فقال (٦) لا جرم انها صدقه . وابن عمر رضى الله عنه ذهب ماله فى الطريق بأخذ اللصوص ، فأراد ان يذهب الى السلطان ، ثم قعد فقال : اكره ان أخرجه من ميزانى . وروى عن الربيع بن خيثم : انه كان له فرس يغزوا عليه وكان يقوم بثلاثين الفا ، فبينما هو ذات ليلة يصلى إذ أتاه سارق فسرقه ، فلم يقطع صلاته حتى ذهب به وصار السارق إلى أصحابه عرفوه فقالوا : ويحك (٧) إن هذا فرس الربيع ، إذهب فرده عليه ، من قبل أن يدعوا الله علينا فبكى ، فذهب فرده ، فاذا هو قد فرغ من الصلاة ، فلما صار إليه ، وثب الربيع فأخذه . وقال إن هذا شئ قد خرج إلى ميزانى فلست أقبله فتركه عليه . فان هذا المال عندهم ، مثل الجوار يعيدونها فدلت (٨) أفعالهم على انه ، لا قدر له عندهم ، ولا للنفس فى ذلك حظ الفرح . وروى عن الله تبارك اسمه (٩) «قل للصديقين بى فافرحوا وبذكرى فتنعموا»

(١) مثل السابقة . (٢) الترياق : الداء النافع المجرى .
(٣) اخرجه البخارى ، وابن ماجه ، وقال المناوى : وهو يحتمل الدعاء ، ويحتمل الخبر ، وذكره العجلونى فى كشف الخفا (١/٥١٤/٣٧٢) ، وذكره السيوطى عن البخارى وابن ماجه وصححه (٢٣/١) من الجامع الصغير .
(٤) الفعل (زاد) يتعدى لمفعول ، ولمفعولين من غير تضعيف أو همزه .
(٥) الحائط : البستان .
(٦) وردت بالمخطوطة (فعال) وهو تصحيف وتحريف معا .
(٧) ويحك : كلمة تقال للرحمة ، والعذاب ، كان يقال ويح فلان ، وويل فلان .
(٨) بالمخطوطة (فدل) وهو تحريف من الناسخ .
(٩) فى الحديث القدسى عن رب العزة جل شأنه .

فهؤلاء قالوا هذا الفرح ، فبقوا مع الفرح به ، والتنعم بذكره ، والدنيا تعدوا خلفهم ، وأمام قلوبهم ذكر خالقهم ، والدنيا من وراء ظهورهم ، وروى عن ابن عمر رضى الله عنه ، انه كان يطوف بالبيت ، فخطب إليه عروة بن الزبير (١) رحمه الله ابنته فلم يجبه بشئ ، فظن عروة أنه كره ذلك ، فأمسك عنه ، فلما قدم المدينة وجه اليه ابن عمر ، فقال : «أنا بالطواف كنا نتخايل الله بين أعيننا ، فذلك الذى منعنا عن إجابتك ، فهل بك حاجة الى ما سألت؟ فأجابه بنعم فزوجه».

وأما سوء التأويل فمثل فعل هؤلاء الحرورية (٢) كفروا بالذنب احتجوا بقوله «ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها أبدا» (٣) فإنما هذا العصيان فى التوحيد ، وهذا فى خطاب الجن . وتأولوا قوله : «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون» (٤) وإنما هو كفر دون كفر أى كفروا بنعمة العدل الذى أنزل الله عز وجل ، حيث قال فى تنزيله ومن عليهم بذلك فقال : «لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط» (٥) فمن لم يحكم بما انزل الله ، فقد رفض ميزان الله الذى انزله ، ومن به عليهم .

ومثل القدرية(٦) تأولوا قوله : «فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم»(٧) فذكر زيغهم وبزيغهم أزاغ الله قلوبهم . وأهل الأهواء بسوء التأويل ضلوا ، لم يعقلوا اللغة ، ولم يفهموا المعانى ، ولهم نفوس مظلمة ، يحرفون الكلم عن مواضعه ، بظلمة أهوائهم وقلوبهم ، ومن قل فهمه أو عزب(٨) عنه فى وقت

---

(١) هو عروة بن الزبير ، احد الفقهاء السبعة بالمدينة ، كان عالما صالحا كريما سخصيا وكان بعيدا ، عن الفتن وهو شقيق عبد الله بن الزبير توفى بالمدينة سنة ٩٣هـ راجع وفيات الأعيان لابن خلكان (٣١٦/١) وحلية الاولياء (١٧٦/٢) وصفة الصفوة (٤٧/٢)

(٢) الحرورية : طائفة من الغلاة كفروا بالذنوب . راجع الملل والنحل للشهرستانى

(٣) الجن (٢٣/٧٢) (٤) المائدة (٤٤/٥)

(٥) الحديد (٢٥/٥٧) القسط : العدل ، وقد روى عن ابن عباس ان «الحديد فى الآية هو السندان والكليتين والمطرقه» ونقل ذلك الطبرى فى نفسيره (١٣٧/٢٧) كما روى عن السيوطى فى الدار المنثور (١٧٧/٦)

(٦) تقدم الكلام عن القدرية

(٧) الصف (٥/٦١) والزيغ فى الاية معناه ميل هؤلاء الناس عن الحق والهدى والصواب المعنى بنحوه فى التفسير الكبير للفخر الرازى (٣١٣/٢٩)

(٨) عزب عنه : أغاب وشرد عنه

ساء تأويله .

ألا ترى أن أبا العاليه(١) سئل عن قوله : «الذين هم عن صلاتهم ساهون»(٢) وعنده الحسن البصرى رحمه الله فقال أبو العالية : هو الذى يسهو فى صلاته ويحدث نفسه فيها فقال الحسن مه(٣) : انما هو الذى يسهو عنها ، حتى يخرج وقتها ، وإنما قال الله عز وجل «عن صلاتهم» ولم يقل فى صلاتهم (٤) ، ولو كان كما تقول لقال الذين هم فى صلاتهم ساهون ، ولم ينجو من هذا الغرور الا من قد وفر حظه (٥) من اليقين ، والتقوى ، وهم العارفون ، العلماء بالله ، الذين قطعوا عقاب النفس ، حتى تخلصوا الى بابه ، وولجوا (٦) الباب ملكا ، حتى وقفوا بين يديه فى المرعى .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «يا حبذا نوم الأكياس وفطرهم كيف يعيبون سهر الحمقى ، واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب تقوى ويقين أفضل من ملء الارض من المغترين» .

وحدثنا عبدالكريم ، عن الحصين بن إبان ، عن محمد بن زياد اليشكرى عن ميمون بن مهران ، عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ، وحدثنا الجارود بن معاذ ، حدثنى عباد بن الليث رفعه الى أبى الدرداء بمثله ، ولم يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . «فأول المغترين من اغتر بعبادة الأوثان (٧) . زعموا أنهم يعبدوها لتقربهم الى الله زلفى ، واتخذوها من دون الله شفعاء ، ليشفعوا لهم ، إلى ربهم ، فآمنوا بالله ، ثم أشركوا . قال الله تبارك اسمه : «وما يؤمن اكثرهم بالله

---

(١) ابو العالية : من الاعلام الاجلاء فى الفقه والحديث ، كان ورعا تقيا مخبتا روى عنه فى كتب الحديث الشهيرة . راجع الطبقات الكبرى لابن سعد (٤٧٦/١) ، (١٨٥/٧) و (٤٨٤/٨) ط دار صادر

(٢) الماعون (٥/١٠٧) والماعون : الزكاة وقيل بل هو الماء والكلاء ، كما ذكر القرطبى فى جامعه (٢١٤/٢٠) ورجع السيوطى الاول فى الدر المنثور (٤٠١/٦) وفسرها الطبرى بالاشياء الحقيرة (٢٠٣/٣٠) .

(٣) مه : اسم فعل امر ، مبنى على السكون بمعنى اكفف.

(٤) السهو عن الصلاة : تأخيرها . (٥) اى كثر نصيبه من اليقين والتقوى .

(٦) ولجوا : دخلوا ، من الولوج وهو الدخول .

(٧) وهذه نقطة خطيرة اشار اليها المؤلف (رحمه الله) وهى كثيرة وهى شائعة فى كل عصر ومصر .

إلا وهم مشركون»(١) والشرك : هو التعلق بالشئ ، مأخوذ من الشرك ، وهو الذى يصاد به ، فهؤلاء تعلقت قلوبهم (٢) بالأوثان ، تعلقا رأوا انها تملك ضررهم ونفعهم ، دون الله ، وذلك أنهم لما سمعوا ذلك الصوت من الأوثان أحبوه ، وكل شئ محبوب ، فهو عند الآدمى محمود ، وفي عينه عظيم للشهوة التى فى نفسه .فانما غرتهم نفوسهم بتلك الشهوة التى فيهم . والمؤمنون تخلصوا من هذا العلق بما من الله تعالى عليهم من نور التوحيد(٣) فاطمأنوا إلى الله وحده ، فى جميع الملك للضرر والنفع ، وإياه رجوا ، وله عبدوا ، ثم بقوا مع تعلق الأسباب التى فيها المنافع والمضار ،فتنة افتتنوا بها ، وذلك من فعل النفس فالقلب يومئ الى الله (٤) فى كل شئ ويلحظ اليه ، والنفس تلحظ الى الاسباب التى بها الاشياء ، من عنده مستورة ، وسترها : إنه أعطاكه من أيدى الخلق من السماء والارض ، والشمس والقمر والحر والبرد ، والخلق والخليقة ، وهو الذى يعطيك ، فصار هذا الخلق كلهم حجابا لك عنه ، فانت تقبل من هؤلاء رأى العين فى الظاهر ، واقتضاك ان تقبل من الله تعالى رأى العين فى الباطن ، فانما أعطاك العين فى رأسك ، لترى الظالمين ويؤدى خير ذلك الى العين التى فى فؤادك فإنه بهذا العين نور حياة الروح ، وفى عين الفؤاد نور الحى ، فبنور حياة الحى تدرك الأشياء الباطنة ، وهى ربوبيته .

فلما ازداد نور عين فؤادك ازددت بالأشياء بصيرة وعلما ، فاذا حال دون بصر العين حائل ، غيم أو سحابة اشتملت عليك الاشياء ، وعجزت عن الرؤية ، للضعف الذى دخل في البصر ، والحجاب الذى حال بينه وبينك من الغيم ، فكذلك إذا حال دون بصر عين الفؤاد سحائب الذنوب ، وغيوم العيوب ، ودخان الحمق ، وغيابة الهوى ، اشتبه عليك تدبيره فى ربوبيته ، وعجزت عن رؤية ذلك للضعف الذى جاءك في فؤادك (٥) فعندها تغتر بما تغرك به النفس فتدعوك اليه (٦) .

---

(١) يوسف (١٢/١٠٦) قيل فى معنى هذه الآية الشريفة انهم إن سئلوا : من خلقهم ؟ قالوا : الله ثم يشركون بعد ذلك .
(٢) وهذا من تلبيس ابليس عليهم فى عقيدتهم ، ليجردهم من رضوان الله ورحمته .
(٣) هذه لمحه كريمة من المؤلف (رحمه الله) ايضا ، وهى أن نور التوحيد عندما ينفذ الى القلوب والضمائر كفيل بتحررها من العبودية لغير الله سبحانه وتعالى .
(٤) يؤمى الى الله : يشير اليه يقال أومأ ايماء .
(٥) غير واضحه فى المخطوطة فوضعناها من السياق .
(٦) بالاصل (وتدعوك) ، والأدق ما أوردناه .

فصل : فى الوضوء

ومن أفعال المغترين أنهم قبلوا الفرائض عن الله عز وجل ، أن يقيموها ويؤدونها ، وافية ، ثم عجزوا عن الوفاء بها فقصروا ولهوا عن العناية بها وأقبلوا على أشكالها تطوعا فعملوها فهذا غرور النفس فتجد احدهم إذا توضأ ، ترك أدب الوضوء .

قبل على صب الماء ، فاكثر منه يريد بذلك التوفير للتطهير والوفاء ، لأمر الله عز وجل ، فهو مغتر ولذلك أنه أمر بالغسل . فالغسل أن يبل الجلد والبشرة ، وأصول الشعر ، ويذكر اسم الله عز وجل فى مبتداه ، ويستقبل بوضوءه القبلة .

فالمغتر يلهو عن اسم الله ، ويلعب بالماء ، صبًّا صبًّا يرى تطهيره فى كثرة الصب ، فاذا فعل طابت نفسه ، ويرى أنه قد وفى (١) امر الله عز وجل قال الله تعالى فى تنزيله يعيراقواما فقال : « اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا »(٢) كل هذا من غوايه(٣) النفس ، فاعلمهم : أن هذا الذى يدينون هو مما ران على القلوب (٤) فغرتهم النفوس .

حدثنا قتيبة بن سعيد (٥) عن ابن لهيعة عن حيى بن عبد الله عن ابى عبد الرحمن الحلبى عن عبد الله بن عمرو ، قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على سعد ، وهو يتوضا ، فقال : ما هذا السرف ياسعد ؟ فقال أفى الوضوء سرف يارسول الله ؟ قال نعم وإن كنت على شاطئ نهر »(٦)

حدثنا ابى رحمه الله ، حدثنا الحكم بن المبارك اخبرنا بقية ، حدثنى أبو بكر بن ابى مريم العنانى ، حدثنى حبيب بن عبيد الرحمن عن أبى الدرداء ، ان رسول الله صلى الله عليه وسلم «مر بنهر فأخذ منه قعبا فتنحا فتوضأ ثم

---

(١) وردت بالمخطوطة (وفر) وهو تصحيف من الناسخ .
(٢)سورة الأنعام الآية ٧٠
(٣) اوردناها من السياق .
(٤) اوردناها من السياق
(٥) هو قتيبه بن سعيد بن جميل الثقفى بالولاء ، ابو رجاء البغلانى من اكابر رجال الحديث المشهورين ، مشهود له بالفضل ، وقد روى له البخارى ٣٠٨ حديثا ومسلم ٦٦٨ حديثا ، توفى سنة ٢٤٠ هـ .
راجع تاريخ بغداد (١٢/٤٦٤) وتهذيب التهذيب (٨/٣٥٨)
(٦) فالاقتصاد فى استعمال الماء لذلك مندوب اليه .

رد فضله إلى النهر ، فقال يبلغه الله أقواما » .

حدثنا عبد الرحيم بن حبيب ، حدثنا بقية عن جرير بن عثمان الرجي ، عن صالح الرجى ، حدثنى ذو مجنز تفى ابن أخت النجاشى ، قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : لبلال « يابلال ائتنى بالميضاة فتوضأ وضوءا لم يلت منه التراب » .

حدثنا الفضل بن محمد ، حدثنا أحمد بن أبى الجوارى الدمشقى ، قال سمعت أبا سليمان الدارانى (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «خيركم يتوضأ صَبا للماء فى الوضوء» . حدثنا محمد بن على الثقيفى قال سمعت يحيى الحمانى يقول : اخبرنا ابن مبارك عن معمر النهرى ، انه قال من السنه ان يستقبل بوضوئه القبلة .

قال ابو عبد الله رحمه الله : وانما صار هكذا روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الصلاة ثلاثة اثلاث : ثلث منها الوضوء ، وثلث منها الركوع والسجود ، وثلث القراءة .

وروى عنه فى حديث أخر انه استقى من بئر ، فذهب عمر يستقى له فقال « مهلا ياعمر فإن طهورى من صلاتى وانى اكره أن يشركنى أحد فى صلاتى » . فالمغترون أهملوا هذا كله واقبلوا على صب الماء .

---

(١) هو أبو سليمان الدارانى ، المحاربى ، ابو بكر ، من ثقات التابعين ، كان قاضيا ، شاميا ، سمى قاضى الخلفاء ، قيل إنه ولى قضاء دمشق نحو ثلاثين عاما ، منسوب الى (داريا) من غوطة دمشق ، وقد توفى سنة ١٢. هـ تقريبا : راجع معجم البلدان لياقوت (٢٤/٤) وقد اختلف فى تاريخ وفاته ، فقيل سنة ١١٥ هـ وقيل سنة ١٢٥ هـ ، وقيل بل سنة ١٢٦ هـ . راجع تهذيب التهذيب (١٧٧/٤) وقد صحح صاحبه الرواية الاخيرة .

فصل : فى الصلاة

وإذا قام الى الصلاة سها عن حفظ قلبه مع الله ، وبين يديه ، وسها عن حفظ جوارحه ، فالتفت ورفع بصره ، عن مواضعه وتثاءب وتمطى (١) وفرقع بإصبعه ، وتمايل ، فى صلاته ، كالمترنح ، والمتنهد ، وقدم رجلا فى حال قيامه عن قعوده متخطيا وعبث بجسده وثيابه ، وأشباه هذا ، فهو غير مقبل على صلاته ، قد أهمل حفظ قلبه ، من حديث النفس ، ووساوسها ، وأهمل حفظ جوارحه ، عن هذه الاشياء ، وترك تدبر آياته فى قراءته ، وإنه يعقل ما يتلو ، فانه امر بالتلاوة فى الصلاة لإيقاظ النفس ، فإن القرآن فى الصدر ، والنفس غافلة عما فى الصدر (٢) فإذا أبرز ، من الصدر الى لسانه ، ولج سمعه ، فنادى الى نفسه فاتعظ ان كانت نفسه شاهدة لما نطق لسانه ، وان كانت مشغولة باحاديثها ووساوسها ، لم ينتفع بالتلاوة ، فاذا أهمل هذا كله ثم ذهب فطيب نفسه ، بقيام الليل ، وصلاة الضحى ، وأشباه ذلك ، فهذا مغتر ، قد ضيع (٣) الفرائض ، وأقبل على التطوع ، ثم يحمد نفسه فى التطوع كذلك فهو كما وصف الله تعالى : «ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم الا ابتغاء رضوان الله»(٤) ثم ذمهم فقال : «فما رعوها حق رعايتها» (٥) لانهم ضيعوا الفرائض وقصروا فيها وأقبلوا على التطوع ، فلما رأوا كثرة ذلك التطوع ، وتزاحمه ، وتراكمه ، أعجبوا بذلك وأتوا به ، فصاروا أهل عجب ورياء ،(٦) وفخر ، وكبر ، وتعظم على الناس. والأكياس أقبلوا على تعظيم أمر الله فاجتهدوا فى أداء الفرائض ، فنفوا الوسوسة ، وأعرضوا عن حديث النفس ، وأقبلوا على حفظ

---

(١) وردت بالمخطوطة (وتمطا) وهو تحريف من الناسخ .

(٢) ولولا ذلك لما كثر السهو فى الصلاة .

(٣) هذه نقطة غاية فى الخطورة ، يجب التركيز عليها ، والتنويه عنها ، فنحن نرى من يسال : هل التدخين حلال ام حرام ؟ وهو لا يصلى وتصبح هذه الفتوى شغله الشاغل ، ولكن ترك الصلاة لا يشغله طرفه عين . عجبى !!

(٤) الحديد (٢٧/٥٧) والرهبانية مشتقة من «الرهبة» لما فضل عن المقدار وأفرط فيه . راجع ابن منظور فى اللسان (٤٢١/١) والبحر المحيط لابى حيان (٢٢٨/٨) .

(٥) لسوء فهم هؤلاء وتخليطهم والتلبيس عليهم ، خالفوا الأوامر وعملوا بما ليس مأمور به ونقلوا الفروض محل التطوع ، والتطوع محل الفروض .

(٦) الرياء : مراءاة الناس وهو الشرك الخفى .

الجوارح على أدب المصلين ، وتدبروا أيامه فى تلاوتهم ، وفى هذا شغل عظيم ، حتى يصير بهذه الصفة : ما شغلهم عن التطوع لانهم يحتاجون الى رياضة فإذا راض أحدهم نفسه حتى تقوم بتلك الخصال ، التى ذكرناها فى سورة المؤمنين وشهد لهم بالفلاح فقال «أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس».

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «حدثنى جبريل عليه السلام ، عن ربى تبارك وتعالى انه قال : «ماتقرب الى عبدى بمثل أداء فرائضى ، وان البعد يقرب الى بعد ذلك بالنوافل حتى أحبه ، فاذا أحببته كنت سمعه ، وبصره ، ويده ، ورجله وفؤاده ولسانه» (١) .

فالصادق فى تطوعه قام بأداء الفرائض ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الكيس من دان نفسه» اى حاسبها فمن حاسب نفسه لم يرض منها بان تضيع الفرائض ، وتقصر فيما افترض الله عليه ، (٢) ونسى من تلقاء نفسه أمرا سيئا وتمنى (٣) على الله فيه الثواب .

ولذلك قال عمر رضى الله عنه : «حاسبوا أنفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوها» (٤) .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «المؤمن وزان وقاف متأن (٥) متثبت لا يعجل والمنافق همزة لمزة حطمة ، حاطب ليل لا يبالى من اين يجمع ، واين ينفق » فمن حاسب نفسه فى الفرائض ذهب عليه حاصل (٦) كثير .

ومن وزن فرائضه علم خفتها من وزنها ، لأنها إنما يخفى من قلة النور الذى فى قلبه ، وانما شمل بكثرة النور ، وكلما قرب العبد من ربه كان نور قلبه أثقل وأوزن ، وإذا صام تلاهى ولهى ، عن حفظ الجوارح ، التى ائتمنه الله تعالى عليها ، فتراه كافا عن الطعام والشراب ، الذى أحل له وآكلا لحوم الموحدين اغتيابا ، وناظرا بعينه إلى ما حظر عليه ، ونهى عنه ،

(١) حديث قدسى عن رب العزة رواه البخارى فى الصحيح (١٠٥/٨) باب التواضع وذكر فى الاحاديث القدسية (٨١/١) ط . دار المعرفة .

(٢) من الفرائض والطاعات . (٣) غير واضحه بالاصل .

(٤) ولا يحاسب نفسه قبل يوم الحساب الا اهل الورع والتقى ، وهؤلاء هم المقربون الذين أشاحوا بوجوههم عن الغانية ، وصدفوا عن مفاتنها ، ورغبوا فى الاخرة وانصرفوا اليها فرض الله عنهم ورضوا عنه .

(٥) كذا ورد بالاصل .(٦) حاصل أى محصول ، وهى اسم فاعل قصد منه اسم المفعول

ومستمعا الى مازجر عنه ، وناطقا باللغو ، وخفى الكلام .

والصوم إ نما هو كف عن شهوة الشئ الذى هو غذاؤه ، وهو الطعام والشراب واتيان النساء ، وهذه أعظم شهوات بنى آدم ، فأمر بالكف عن ذلك تقربا الى الله تعالى ، فاذا فعل ذلك ثم أهمل سائر الجوارح ، ثم تهالك فى(١) الشهوات المذمومة ، التى لم يتح له قط ، ولا يباح له ، فهو مغتر قد طيب نفسه ، بهذا الظاهر ، من الكف ، وأهمل الباطن ، من دعايته للشهوات ، التى حرم الله تعالى عليه ، فى كل وقت ، وانما اغتر بالجوع والظمأ ، والصبر عن النساء .

حدثنا اسماعيل بن نضر ، حدثنا محمد بن حبيش المكى قال : سمعت سفيان ، يقول : أمر النبى صلى الله عليه وسلم بالصيام ، وقال : «لا يفطرن أحد منكم حتى يستأذننى» فصام ، فصام الناس ، فلما أن جاء الفطر ، جعل يأتيه الرجل والمرأة يستأذنه أن يفطر ، فيأذن له ، فجأنى فقال : أرسلتنى إليك أمى وخالتى يستأذنانك فى الفطر قال : «لم يصوما» فرجع إليهما فأخبرهما بما قال النبى صلى الله عليه وسلم فقالتا إرجع إليه فأعلمه أنا والله ما أكلنا طعاما ، ولا شرابا ، فى هذا اليوم حتى هذه (٢) الساعة» فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم: «إرجع اليهما فمرهما أن تدخل كل واحدة اصبعها فى حلقها ، ففعلتا (٣) فطرحت كل واحدة من بطنها مثل العلقة» ، فرجع الى النبى صلى الله عليه وسلم به، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : «فأعلمهما أن ذلك من لحم فلانة حين مرت بهما فاكلتاها ، ولو سكن ذلك فى أجوافهما لكانت النار أولى بهما» . وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «رب صائم ليس له من صيامه الا الجوع (٤) .

حدثنا قتيبه بن سعيد ، حدثنا ابن لهيعة عن الاعرج ، عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «اذا صام احدكم فلا يرفث يومئذ ولا

(١) غير واضحه بالمخطوطة وقد وضعناها لمناسبة السياق .

(٢) وردت بالمخطوطة (ذا) وهو تحريف خطير من الناسخ .

(٣) مطموسة بالمخطوطة .

(٤) اخرجه ابن ماجه بزيادة «ورب قائم ليس له من قيامه الا السهر» عن ابى هريرة رضى الله عنه ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (٢٢/٢) ط . دار الكتب العلمية .

يجهل فان احد قاتله يومئذ أو شاتمه فليقل إنى صائم » (١) .

حدثنا بشر بن بنت ازهر السمان ، حدثنى ازهر ، حدثنى عمار بن علثم المحاربى ، عن امه ام سعيد بنت اسود المحاربى ، عن امها انها اخبرتها ام سلمة رضى الله عنها انها اصبحت يوم الجمعة ، فغدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى الصلاة ، فأتتها جارة من نساء النبى صلى الله عليه وسلم ، فاغتابتا ، وضحكتا ، برجال ونساء فلم تبرحا على حديثهما من الغيبة حتى اقبل النبى صلى الله عليه وسلم منصرفا من الصلاة فلما سمعا صوته سكتا (٢) البيت ، فالقى طرف ردائه على انفه ثم قال فاستقيا ثم تطهرا بالماء فخرجت أم سلمه رضى الله عنها ففعلت الذى امرها به النبى صلى الله عليه وسلم من الاستقاء فقاءت (٣) لحما كثيرا قد اصل ، فلما رات كثرة اللحم ، تذكرت أُحدث لحم أكلته ، فوجدته فى آثر جمعتين ، وقد منتها أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهشت بعضه (٤) فسالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عما قاءت فاخبرته ، فقال ، ذاك لحم ظللت واختك تاكلينه فلا تعودى انت وصاحبتك لما ظللتما فيه» واخبرتها صاحبتها انها قاءت مثل الذى قاءت من اللحم .

واذا زكى ماله اقبل يتصدق من مال اكتسبه ، وجمعه ، من غير حقه ، من رياء ، وغصب ، وظلم ، وابواب المظالم ، والشبه ، فسماها زكاة ، لماله فلا يزكوا ماله على صدقة من مثل هذه الأشياء فيردها على اربابها أزكى له ، وأوجب عليه .

واذا جمعه من حقه من ميراث أو صلة لم يشبه بشئ من الشبه ، تصدق منه على العلائق (٥) والأسباب ، التى يجتر بها المنافع فيعتمد على صدقة فيهيم بها فى اتباعه ، واللائذين به ، والقائمين له فى الثوائب ، من مولى قد اعتقه ، ومتــولى خدمته ، والحامى عنه ، وسيفه يسبقه عنه ، ويغضب

(١) رواه البخارى ومسلم وابو داود وابن ماجه عن ابى هريرة وصححه السيوطى فى الصغير (٣٣/١) كذلك رواه مالك رضى الله عنه فى الموطأ .
راجع ايضا كشف الخفا للعجلونى (١/١٠١/١/٢٦١) .
(٢) بياض بالاصل .
(٣) فقاءت : تقيأت .
(٤) نهشت بعضه : اى قليلا منه .
(٥) العلائق : جمع مفرده علاقه .

له ، فيفرق فى هؤلاء ويدع أرحامه وجيرانه .

ومن أوجب الله حقه فى ذلك المال ، أو يعمد (١) إلى أرحامه الذين أوجب الله صلتهم ، فيفرق فيهم كى يدفع عنه حقوق صلتهم بذلك ، فيريد أن يسقط عن نفسه واجبين فى دفعة واحدة ، فهذه كلها خيانة لحق الله تعالى ، وخب (٢) وخداع .

وإنما الزكاة نمو للمال فلا ينمو على هذه الأفعال ، التى وصفنا ، لأن المال إنما يسمى مالا ، لانـه يميل بقلب العبد عن الله ، وينقله عنه ، ويبطئ به عن (٣) أموره ، فإن فى وجوده فرحا ، وعزة نفس ، وبسط أمانى كثيرة فيصير ذلك عيبا ، وينقص من إشراق نور الايمان فى صدره ، بقدر ذلك ، لأن ذلك العيب ظلمة ، وحجاب ، فاذا دخل فى الشمس فى جزء من أجزائها كسوف أنقص من إشراقها ، عن أهل الارض ، وعن كل شئ فى الارض ، فعم (٤) ضرره ، فلذلك كلما انكسف من ضوء ذلك الاشراق اختص من نـور جميع أعماله ، دنيا وآخره ، ومن نياته ، وقربانه ، وبصيرته ، بقدر ما أحسف ، فعم ضرره جميع طاعاته .

ومن ها هنا قال من قال بزيادة الايمان ونقصانه ، يسمى ذلك الاشراق إيمانا ، كما سمى اشراق الشمس على الارض شمسا ، فأمر بالتصدق من هذا المال ، ليصل الى النفس ألم الفراق من ذلك المال ومخمصته فيكون بدل تلك الحلاوة ، وذلك الفرح الذى ناله عند وجوده ، حتى يكون التصدق كفارة لذلك، ويطهر القلب ، ويذهب الكسوف ، وينمو إشراقه فتلك زكاة النفس ، والقلب ، بالإيمان . وانما تزكوا تلك الإعطاء ، فلذلك سمى زكاة ، فإذا وجدته فى شأن الزكاة مع هذا التخليط ، قد اطمأن الى هذا المال ، ثم ذهب يتصدق تطوعا على نهماته ، وهوى نفسه ، وينفق فى القناطر والمساجد والرباطات ، وابواب الحسبة ، فهذا مغتر ، عبد الله على هوى نفسه فسمى صدقتـه المفروضة مع العلائق زكاة ، فطابت نفسه باعطائها ولم ينظر الى حيث(٥)ما فى صدقه من هذه الأشياء التى وصفنا ، فاى غرور أعظم من هذا

(١) يعمد الى ارحامه : يقصد اليهم .
(٢) الخب : اللئيم الخادع .
(٣) يبطئ به عن اموره : يقصر به عنها .
(٤) فعم : امتلأ .
(٥) وردت بالمخطوطة (حيثو) وهو تحريف سخيف من الناسخ .

فلو قبل بالمفروضة فأداها إلى من ليس بينه وبينهم قرابة ، فيدفع بذلك عن نفسه حق القرابة ، وصلة ذوى القربى ، وليس يجتر بذلك إلى نفسه فى العاقبة منفعته أكان ذلك مما يزكو عليه قلبه ، ونفسه ، وصدره ، وماله ، فاما قلبه فيمتلئ نورا ، وأما نفسه ، فتحتشى صدقا ، واما صدره فيشرق نورا ، وأما ماله فينمو ، حتى يوجد فيه الخلف و اليقين .

قال الله فى تنزيله : «وما أنفقتم من نفقة أوما أنذرتم من نذر» (١) ادى المفروضة على هذا الصفاء والراحة وأقبل على الأرحام فوصلها ، فخرج اليهم من حقوقهم لأنه قد قرأ فى التنزيل «وات ذا القربى حقه» (٢) ثم اقبل على الجيران (٣) فخرج اليهم ، من حقوقهم ، ثم أقبل على اليتامى ، ومن يلوذ(٤) به من المساكين ، فهؤلاء أهل وصية الله تعالى فى تنزيله ، فاذا خرج الى هؤلاء من حقوقهم ، ثم صرف من ماله ، وفى هذه الأشياء ، التى سمينا من القناطر ، والرباطات ، وأسباب الحسبية ، فهو صادق ، كيس فى امره ، واذا لم يكن هكذا ، فهو مغرور ، غرته أما فى نفسه ، وغره هواه ، لانه بهذه الافعال ينظر عند الناس ، ويشرف فى أعينهم ، فقد عملت نفسه هذا فكتمته ، وانطوت عليه ، كيلا ينفر من ذلك قلبه ، ويقول هذا لله ، وأريد به الدار الآخرة وهو كاذب ، وكيف يصدق على ذلك ، وهو قاطع لأرحامه ، ومانع حقوق جيرانه ، يحترم أبويه وينفق على الأجنبين (٥) ويقول: الاباعد ويضيق على عياله ، وايثما هويت نفسه وجلا (٦) هناك فزعم انه لله تعالى ،فهو كاذب ، فى زعمه هذا . وعن المسعودى ، عن ابى حسين عن عبدالله بن تاباه ، عن ابى الدرداء قال : «إن كسب المال من سبل الحلال قليل» ، فمن اصاب مالا من حله ، ثم انفقه فى حله ، وأين من ذلك ان لا

(١) البقرة (٢/ ٢٧٠).

(٢) الاسراء (٢٦/١٧) راجع التفسير الكبير للفخر الرازى (١٩٢/٢٠) والقرطبى (٣٥٣/١) بتصرف .

(٣) اقبل على الجيران : تعهدهم برعايته ، وفى قول المؤلف رحمه الله (فخرج اليهم من حقوقهم) ادق بيان على توضيح المعنى .

(٤) يلوذ : يلجأ .

(٥) لمحة لطيفه ذات اهمية وهى ايضا فاشية فى كل عصر ومصر ، وهى من خطرات المؤلف الذكية .

(٦) بياض بالاصل .

يسلب اليتيم ، ويكسوا الأرملة ، من اصاب مالا من غير حله ثم انفقه فى غير حله ، فذاك الداء العضال ، ومن اصاب مالا من غير حله ، ثم انفقه فى حله فذاك الداء العضال ، ومن أصاب مالاً من وحله أنفقه فى حله فذاك الذى يغسل الخطايا ، كما يغسل السماء (١) التراب عن الصفا .

فاما شأن الخلف الذى وعد الله تعالى فى تنزيله فانما بقى لمن ايقن بالخلف.

حدثنا الحسن بن عمر بن شفيق البصرى ، حدثنا جعفر بن سليمان الضبيعى عن سعيد الجديدى ، أن ابا هريرة حدثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان بين يديه نحو من مد ، من تمر ، فجعل يعطى منه قبضة قبضة ، ولا اراه ينقص ، فقلت يا رسول الله : إنك تعطى ، ولا ينقص ، فقال أما تقرأ «وما أنفقتم من شئ فهو يخلفه »(٢) فقلت اشهد أنها حق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :: «هل تدري ما يمنع الناس من الخلف ان يرده قلت لا ادرى يا رسول الله قال قلة اليقين» .

حدثنا أبى رحمه الله ، حدثنا محمد بن الحسن ، أخبرنا عبدالله ابن المبارك ، اخبرنا معمر ، حدثنى محمد بن واسع عن يزيد بن عبدالله بن الشخير ، قال : أخبرنى ابن اخى عامر ان عامر بن عبد قيس كان يأخذ عطاء ، فيجعله فى طرف ثوبه ، فلا يلقاه احد ، من المساكين الا اعطاه ، فإذا دخل بيته رمى به إليهم ، فيعدونها فيجدونها سواء كما أعطاها .

واذا حج ضيع المبتدأ من أمره ، وذلك أن الحج هو مصير العبد الى موعد ربه ، فان الله وضع ذلك البيت رحمة للعباد ، كى إذا صاروا الى تلك البقعة ، ولاذوا (٣) بذلك البيت اعاذهم من العقوبة ، فغفر لهم ، وتجاوز عنهم ، وأمنهم من العذاب ، لانهم لما اذنبوا وقعوا فى المخاوف ، وكانوا على الخطر من أمر الله فصير ذلك مأمن العباد ، فقال تعالى : «واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا » (٤) فاذا دخلوه حاجين ، لائذين ، تائبين ، أمنهم

(١) السماء : يذكر ويؤنث ، والسماء كل ما علاك فاظلك ، ومنه قيل لسقف البيت سماء . والسماء المطر ، وهو المراد هنا في النص . والصفا هو الحجر الاملس الناعم .

(٢) سبأ (٣٩/٣٤)

(٣) لاذوا بذلك البيت : لجأوا اليه .

(٤) البقرة (١٢٥/٢)

بالحج ، فأعاذهم باللوذان (١) وغفر لهم بالتوبة ، فأمر خليله لما بنى قواعده بالآذان وهجر (٢) الشويب ثوبهم من اوطانهم الى بيته ليغفر لهم ، فالمصر على ذنبه يأتى موعوده إتيان مستهزئ .

فمبتدأ أمر الحاج : أن يخرج من كل ذنب ، وظلم هو فيه ، تائبا ، نازعا ، مؤديا ، الى اهل الحقوق حقوقهم ، ثم حفظ جوارحه فى ذلك الطريق ، عن جميع ما تاب منه ، حتى تستقيم توبته ، الى ان يميل الى فناء ربه ، فيقف فى ذلك الموقف الذى دعاه اليه معتذرا ، مما كان منه ، حتى يقيله ، ويعيذه ، ويغفر له ، وينيله ، ويحفظ للعبد جوارحه ، فى إحرامه من كل جفوة ، وخفه ، وترك أدب ، حتى يقضى نسكه .

وانما سمى نسكا لأنه صار الى فناء ربه ساكنا ، ذا وقار ، وهدى ، وجوارح ، وخشوع قلب ، فى كل موطن ، من تلك المواطن ، تواضعا لله تعالى ، قد ترك الاستبداد ، والعلو ، وشرف النفس ، ووضع نفسه لله .

فاذا صنع هذا كله واشتغل بكثرة الطواف ، وكثرة الصلاة ، ومواترة الحج عاما بعد عام فهو مغتر ، لأنه صار الى موضع التوبة ، ولم يتنصل من الذنوب ، وصار إلى مقام الاعتذار ، ولم يهمه الاعتذار وكيف يعتذر ولم يخرج ، من الذنوب ، الا لسانه فقط ، وهو غاصب ، أو قاطع رحم ، اوظالم ، أو جامع ماله من خبائث ، أو عاق ، أو تارك لحقوق الزوجة ، والاولاد ، أو مصر على خطئته ، فهذا مغتر بذلك ، إذا حج لا يزداد ولو غفر له ، لا يستجيب له ، وعصم من الذنوب ، ولو ثبت عليه لجاءه الثبات من الله ومصلح قلبه على ذلك .

روى لنا ان الله تبارك وتعالى قال «ياداود انى من أغفر له مغفرة واحدة أصلح له بها امر دنياه وأخرته» (٣) .

حدثنا سليمان بن منصور الذهبى ، حدثنى ابن المبارك ، قال : قيل للحسن ما علامة الحج المبرور ؟ قال : أن يرجع أزهد ما كان (١) واذا عزا العدو كان علامة نيته أن لا يلقى العدو ، وأن يلزم رباطا من الرباطات ، فليس ذلك غزو ولا جهاد ، هذا رجل مرابط ، ان قصد من الرباط ، مرتصد للعدو ، عازما على انه ان جاء العدو حاربه ، ولا يدعه ، ان يجاوزه الى المسلمين ، فهذا مرابط ومراصد ، وليس بغازى ، ولا مجاهد .

(١) كلمة غير واضحة المعنى .

(٢) هجر الشوائب : جفاها ، وصدق عنها ، وهى كل ما يشوب عمله من مبطلاته .

(٣) وهذا من سابغ فضل الله سبحانه وتعالى ورحمته بخلقه وعباده ، وسبحانه القائل «يدخل من يشاء فى رحمته» .

إنما المجاهد من لقى العدو ، فجاهده وحارب ، والغازى من قصد العدو ، ليلقاه ، وكانت نهمته لقاهم ، واذا كانت هذه نهمته ، ثبت عند اللقاء ، وقد بين الله عز وجل ، فى تنزيله ، هذه الأحوال ، كلها . فقال «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم» (٢) وصاحب هذا مجاهد ، حتى يقتله ، أو يأخذه اسيرا ، ثم قال واحصورهم» فصاحب هذا غازى ، غزا بلاد العدو ، وحاصره ، ثم يخرج اليه ، مستسلما ، مستأمنا ، ثم قال : «واقعدوا لهم كل مرصد» فصاحب هذا مرابط ، قد قعد على رصده فاذا نزل فى وطنه ، مجاهدة نفسه حتى يردها ، عن محارم الله ، ويقيمها على إقامة الفرائض ، والغاية باقامتها .

فاذا صنع هذا ، ثم أقبل على الخروج ، الى ناحية العدو ، فيسمى نفسه غازيا مجاهدا (٣) فهو مغتر ، لأنه ضيع ما هو واجب عليه ، قال الله تعالى فى تنزيله «ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا فى سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله» (٤) فأعلم العباد أن اهل هذه الصفة هم الراجون الرحمة ، ثم وعدهم فقال «والله غفور رحيم» فمن لم تكن فيه هذه الصفة فهو من غير راج فى الحقيقة .

وكذلك نجد فى أهل الدنيا ، كل عبد رجا أن ينال حاجته من مولاه اتبع هواه ، ويحول من هوى نفسه الى هوى مولاه فذلك الصادق فى رجاه .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «الهجرة هجرتان إحداهما أفضل من الأخرى ، وهو أن تهجر السيئات ، والجهاد جهادان :

(١) وهذا ما لانراه بين اكثر الناس اليوم ، حيث يرجعون ويقفلون أشد مما كانوا تكالبا على الدنيا ، وافتتانا بزخوفها .

(٢) التوبه (٥/٩) واحصروهم : احبسوهم ، من الحصر وهو الحبس .

(٣) كذا بالاصل .

(٤) البقرة (٢١٨/٢)

أحدهما افضل من الأخر ، وهو أن تجاهد نفسك ، وهواك».

حدثنا بذلك على بن خشرم ، حدثنا عيسى بن يونس عن الافريقى ، عن عبدالله بن يزيد ، عن عبدالله بن عمر ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فصل : فى طلب العلم

واذا طلب العلم طلب النزهة فيه ، فخطى البلدان ، وترك علماء بلدته ، يريد أن يغرب باسمائهم ، يقول غدا حدثنا فلان الفلانى ، يتزين بذلك عند العامة ، ويطلب وجوه الأسانيد ، ويقصد الاحاديث ، التى يغرب بها على نظرائه ، فاذا رجع الى همته فى طلبه التهمته الدنيا ، واذا تفقه فيها استبشر بما عنده من ذلك بشرى الرياسة ، ونوال العمر ، وشرف المجالس ، وطمأنينة قلبه ، وطيب نفسه ، مع مطالعة فهمه بتلك الأشياء والمقاييس ، والعلل ، ليناطح به الأشكال ، ويسامى به الأقران ، ويقهر به الاضداد ، فذلك متنزهه فى الدنيا ، يدأب فيه ليله ، ونهاره ، بلا حسبة ، ولا نية ، ولا طلب إقامة حق الله ، أو إحياء دين الله ، انما به ما رفع لنفسه ، فى علم الرياسة ، والعلم للمنافسة ، فتستمر نفسه على ما يلقى من التعب ، والسهر فى ذلك ، فإذا أدرك مدرك الرياسة واحتاج الناس إليه ، وأحست النفس بحاجة الناس ، شمخ بنفسه ، علوا ، وذهب بنفسه ذهابا ، ويعظم على الجميع ، فان خولف فى فتياه غضب ، وان خرج الى الملأ ، طلب صدور المجالس ، فى طلب أعين الناس أن تكون إليه ، والاقتصار على رأيه ، فالويل لمن عارضه برأى ، وخالف هواه فى أمر ، فلا يزال ذلك دأبه (١) حتى اذا أكدت رياسته ، وجدته فى آخر أمره جبارا ، عاتيا ، متذهبا مستكبرا ، مفتونا ، بحطام الدنيا ، وجاهها ، وعزاها ، قد تمرغ فى الدماء ، والاموال مع أئمة الجور(٢) وشاركهم فى جميع أمورهم ، فقرة عينه من الدنيا والأخرة جواز القول ، ونفاذ الأمر ، ودوام الجاه والقدر ، والتعزز بعبيد الله .

حدثنا ابن ابى ميسرة ، حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب ، حدثنا عبدالله بن عبدالله الأموى ، حدثنا الحسن بن حيى ، أنه سمع يعقوب بن عتبه يقول سمعت سعيد بن المسيب ، يقول سمعت عمر بن الخطاب رطى الله عنه يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من اعتز بالعبيد أذله

(١) دأبه : عادته ، ودربته .
(٢) الجور : الظلم .

الله»[١] فهذا مغتر غاية الغرور ، لانه يلاحظ أعماله ، فيقول : أهدى الناس . واسلك بهم طريق الاستقامة ، وأعلمهم ، وأدبرا امورهم ، برأيى ، فرايى ، خير لهم من رأيهم لانفسهم ، حتى لا يدرس العلم ، ولا يضيع الحق .

فتراه يهدى الناس قولا ، ولا يهتدى بنفسه ، وتراه يخالف الى ما ينهى عنه وليس به إصلاح الناس وانما به دوام عزه وجاهه ، وقدره فى أعين الخلق، وعزته على فوت ذلك ، وسروره على دوامه ، ألا ترى أنه يحسد على ذلك ، وينهى ، وخوفه من سقوط قدره عند الخلق : الا ترى انه يلاطفهم [٢] ويترضاهم ، ويعمل بأهوائهم ، بما يخالف الله ، ويسخطه فى سمائه ولا يبالى كل ذلك ، إبقاء على رياسته ، وشحا على جاهه ، فهذا حريق متصل بحريق النار ، غدا ، فهو مادام حيا ، يحترق ، ولا يشعر ، لاغتراره وظلمة طريقه ، الذى أظلمه على نفسه ، ويدخل قبره مع الحريق فعندها يظهر له الحريق ، الى ان يتصل بحريق الموقف[٣] وإلى ان يؤدى ذلك الى حريق الصراط ، فيقال له : كيف تهدى ، وانت لا تهتدى ، والى من تهدى ، وقد ردمت على قلبك ، ردم يأجوج ومأجوج ، والى من تدعوا ، وقلبك من الله بعيد ، والى اى خلق تشير ، وانت فى ظلمة الباطل ومفاوز [٤] اللعب ، وكيف تدبر [٥] امورهم وقد ضللت قبيل [٦] الأمور وتدبيرها من نفسك ، وكيف ترى مصالح الناس وانت فى غمرات [٧] فساد نفسك ، واى علم تحيى ، وقد مات قلبك ، وصدرك مشحون بعجائب ما لو انكشف للخلق ذلك منك لنبذوك ورموك بالمدر [٨] من حب الدنيا ، وحب الرياسة ، والسمعة ،

(١) رواه عمر ، وصححه السيوطى فى الجامع الصغير (١٦٥/٢) وفى كتاب «التمييز» للشيبانى ذكر انه رواه ابو نعيم وغيره عن عمر به مرفوعا ص ١٥٨ ط . صبيح
(٢) ما بين المعقوفين اوردناه حسب السياق .
(٣) اى موقف العرض على الله يوم القيامة . راجع – ان شئت – مواقف يوم القيامة للسيد الجميلى ، لمزيد السياق .
(٤) المفارز : جمع مفازة، وهى الصحراء الواسعة .
(٥) تدبر أمورهم : تدبرها .
(٦) قبيل : تصغير قبل :
(٧) غمرات : جمع غمرة ، وهى الشد ، وغمرات الفساد شدته ، وتفاقم امره .
(٨) المدر : التراب .

وطلب المدحة ، والثناء ، وطلب العز المنوط [١] بأحوال الدنيا وجاهها ، هذه كلها سموم ، وأفاعى ، لو كنت جبلا من حديد ، لصرت رمادا ، مع هذه السموم ، وكيف ببضعة من لحم ، فالمغتر كالسكران ، تردى فى بئر ، فتكسر ، ولم يعلم بذلك حتى يفيق ، وإن لدغته أو لسعته حية أو عقرب ، لم تجد ألمه حتى يفيق وان تلوث فى العذرات [٢] فى المزابل لم يبال حتى يفيق ، وان تغذى ، واتى الفواحش ، لم يأنف حتى يفيق ، وان هدر ماله ، وطلق نساء ، لم يجد فجعه ذلك حتى يفيق ، وان قتل نفسه لم يصب ذلك حتى يفيق فى البرزخ .

فالويل ثم الويل له ، وان طلب معيشة مكسب ، كان مركبه الحرص ، وجمعه على النهمة ، وامساكه على النعمة ، وانفاقه على سوء الظن ، وبالهوى ، والشهوة ، ثم تقول إنى لأكسب لاستعف ، واسعى على العيال ، وأعطف على الفقراء ، من فضل مالى ، وأصون به ، دينى وعرضى ، ثم تراه اذا طلبه بالحرص ، كان سعيه فى طلبه سعى العبيد والأجراء ، فذلك عرضه ، ومزق دينه .

واذا صار الى حد الأمانة ضيعها ، وضيع الحدود ، التى حدت له ، فلا عرضه صان ، ولا دينه حفظ ، واذا جمع منع الحقوق ، وقتر فى[٣] النفقه فلا على العدل سعى ، ولا على الفقراء عطف ، ولا الأرحام وصل ، ولا فى اعطاء نوائب الحقوق بذل ، ثم اذا انفق صرف نفقاته فى كل ما هوى ، واشتهت نفسه ، كانت تلك الشهوه حقا أو باطلا ، بعد أن يقضى وطره [٤] على ما فى نفسه ، ثم تراه كلما ازداد جمعا ازداد حرصا ، وشرها . ومع ذلك تكبر ، وتجبر ، ومباهاة واسراف ، وتطاول على الخلق ، وتعزز ، أبغض الناس إليه ، من ذكره الموت ، وأثقل الناس عليه ، من وعظه فى ذلك . قرة عينه من الدنيا ما جمع ، ومفروحه من الدنيا ما فيه من النهمات [٥] .

قد تخلى عن[٦] مواعظ القرآن ، وأداب العلماء ، عن محاسن الأخلاق

(١) ما بين المعقوفين وضعناه لمناسبة السياق .
(٢) العذرات : الافنية التى كانوا يتغوطون فيها جمع عذره .
(٣) فتر النفقه : قصر فيها ، وضيق
(٤) يقضى وطره : يبلغ مراده ويقضى نهمته .
(٥) النهمات : جمع مفرده نهمة ، وهى مطلوب النفس والشهوة .
(٦) وردت بالمخطوطة (تخلا) وهو تحريف من الناسخ .

وسماحة النفوس ، ومؤاخاة فى ذات الله ، وأعمال البر التى يعتدى بها نفسه ، اذا عمل البر فكأنه لاعب لا يجار [1] الى الله تعالى فى القبول ، ولا يتوخى على طهارة الاعمال للقبول ، ولا يقصد به القرب الى الله عز وجل ، ولا لأحكامها للعرض على الله ، فقلبه متعلق بهواه [2] فهو بلسانه يقول : اطلب هذا اللحفة ، ولا يعذر الى جوارحه [3] ، وللسعى على العيال ، ولا يسعى ليرضى المولى [4] ، وللعطف ، وانما يعطف على من تهوى نفسه ليرجع منه اليه لذة ، وقضاء نهمة ، أو منفعة أو امن يشتهيه ، فهذا طلب «معيشة ضنكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لما حشرتنى اعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك اتتك اياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى» [5] ذلك جزاء المعرضين باقبالهم على نفوسهم ، قال الله تبارك اسمه «ومن يعش ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون انهم مهتدون حتى اذا جاءنا قال ياليب بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ولن ينفعكم اليوم اذ ظلمتهم انكم فى العذاب مشتركون» [6]

---

(١) يجار الى الله : يتفرغ اليه بالدعاء .

(٢) غير واضحه بالاصل وما بين المعقوفين اوردناه للسياق .

(٣) مثل السابق .

(٤) كالسابق .

(٥) طه (١٢٦/٢٠) .

(٦) الزخرف (٣٦/٤٣) يعش : يظلم بصره ، وهذا قول ابى عبيده منقولا عن القرطبى (٩٠/١٦) ، وقال الفراء : يعرض عن ذكره تعالى ، ومن قرأ (يعش) بنصب الشين المعجمة اراد يعم عنه . وهذا مرجعه القرطبى (٨٩/١٦) وجامع البيان للطبرى (٤٤/٢٥) معزوا لابن عباس وعكرمه ويحيى بن سلام البصرى.
ولكن ابن قتيبه وافق قول ابى عبيدة على ماذكره بقوله : ولا ارى القول الا قول ابى عبيدة ، ولم ار احدا يجيز «عشوت عن الشئ» أ هـ .

واذا تأهل قال : اتزوج لأستعف عن الحرام ، وأحصن فرجى ، وأجمع شملى ، وأصلح أحوال دينى ، فتراه يقصد لغرض الدنيا ، فيعمد إلى من يطمع ان ينال منهم مالا ، يضيفه إلى ماله ، فان حملوه من الامر والجهد مالا طاقة له به ، احتمله رجاء الوصول ، فتضمن المهر الفادح الثقيل ، الذى يحبط بجميع ماله ، ويخف ذل كله عليه ، لانه يضمن ان لا يؤدى شيئا من ذلك ، وان يحتال بكل حيبله ، حتى تخلص نفسه منها .

مما يبدى من سوء الخلق ، وسوء العشيرة ، مع أهله ، والالحاح عليها ، فى حط ذلك عنه ، وهبته له ، وقال الله تعالى فى تنزيله فى شأن المهر «فإن طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا» [1] فهذا يأخذ منها على كره ، ووعد ، وتعذيب وإلحاح . يقول قد برأتنى منه ، ووهبته منى . فأين شرط الله الذى شرطه من طيب النفس ، حيث قال «فان طبن لكم عن شئ منه نفسا» فانما أباح له من مهرها ما أخذه ، يطيب نفسها ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «لا يحل لامرئ أن يأخذ من مال اخيه الا بطيب نفسه» [2] وقال فى تنزيله «واتيتم إحداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا» [3] فعظم شأن مهور النساء أو احل الاشياء كلها لأن يتعاطوا فيما بينهم ، بغير عوض ، إلا الفروج ، فإنها لا تحل بغير عوض ، وخص الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم فقال «خالصه لك من دون المؤمنين» [4] فى شأن الموهبة نفسها ، لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما روى عنه : «أيما رجل تزوج امرأة وفى نفسه انه لايوفيها مهرها ، فهو زان ، وايما رجل اشترى بيعا وفى نفسه انه لا يريد أداء ثمنه فهو سارق» [5] .

---

(١) النساء (٤/٤)

(٢) وذلك مبنى عليه اهم مقاصد الشريعة الاسلامية فى المحافظة على الاموال والانفس والارواح وكذلك احترام ملكية الفرد .

(٣) النساء (٢٠/٤) (٤) الاحزاب (٥٠/٣٣)

(٥) رواه الطبرانى فى معجمه الكبير ، وابو يعلى فى مسنده ، وضعفه السيوطى فى الجامع الصغير (١١٨/١)

فهذا المغتر قيل له إن النساء لا يملكن الا بالمهر ، فقال إنى امهر والله مطلع على قلبه ، انه يمهر بلسانه ، ولا يريد الوفاء بذلك ، فانه مخادع مع الله ، بأعظم من هذا . قال الله تبارك اسمه «يخادعون الله وهو خادعهم»(١) فلذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «هو زان» لانه استحل فرجها ، بمهر لا يريد ان يفى به ، فهو فى الظاهر عند الخلق لا يقام عليه حد الزنا ، ولكن هذا عند الله زان ، لان سره وباطنه عند الله باطن الزناة .

والذين يستحلون الفروج بلا مهر فتراه يماكس على درهم ، فى بيع أو شراء ،مماكسة من النهار ، ويستقصى لنفسه ، واذا صار الى قبول الامر(٢) ، سمح به سماحة لوزيد عليه ، الفا قبله ، ذلك يتعلم انه لا يريد الوفاء بذلك ، واذا جهز عليها ، خادع ، فأفشا فى الظاهر اسم الهدية ، ثم إذا نوزع فيها ، أو خوصم لوقوع خيشمه ووحشه ، قال ذلك من المهر ، فمرة يريد أن ينظر عند الخلق ، وعند أوليائها ، ويمدح بأنها هدية ، ثم يريد أن يحط عن نفسه دينا ، قد لزمه الخروج منه ، غتما ، بكسوة اشتراها ، وثياب بسعر غال ، أو نسيئة .

فها هنا يزعم أن هذه كرامة ، وهناك يزعم عند الخصومة ، انه يقضى بها دينه ، فليس هذه عفة ، هذا تلوث فى المزابل ، وسياحة فى الكنيف (٣) وليس هذا تحصين ، هذا ثلم (٤) الحصن ، والخروج منه ، يذهب بمهرها ، وتضيق عليها ، نفقتها ، ويأكل مالها ، وينكح جاريتها ، واذا ملها غدا رفضها ، وأخذ يعدو فى الأزقة ، ينظر الى نساء المؤمنين ، وملحظهن بعينه الخائنة ، حتى يرمى به نفسه ، الى ركوب العظائم ، والفواحش ، مما يغار الله فى سمائه من فعلها ، هذا جزاء من خادع الله ، وخان أمانته ، فإن الله تبارك اسمه حذر العباد فى شأن النساء فى عدة أيات ، وأوصى فى شأنهن ، وعظم الشأن فى أمرهن .

---

(١) النساء (١٤٢/٤)

(٢) و (٣) كذا وردت بالاصل .

(٣) الكنيف : هو الساتر فى الاصل ، وقد اطلق على ما يتغوط فيه لانه يكتنف المتغوط اى يستره .

(٤) ثلم الحصن : الفرجة فيه ، واصل الثلمة ماخوذة من تلك التى توجد فى فوهة القدح .

وفتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل البيت ، فلما خرج قام على الباب خطيبا فقال : «أيها الناس إنما النساء عندكم عوان (١) أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله فاتقوا الله واستوصوا بهن خيرا ، إمساك بمعروف ، أو تسريح باحسان »(٢) . فهذا المغرور قد تخلى من هاتين الخصلتين ، فلا عنده معروف ، فى إمساكها ، ولا منه احسان فى تسريحها ، وإذا سار فى ميدان المحتسبة ، أو سمى نفسه محتسبا ، أو ظفرت نفسه بعز الثناء ، والمحمدة ، ترأس فى ذلك وتأمل .

وان كان مؤذنا تراه بذلك الآذان متطاولا على جيرانه ، ذاهبا بنفسه يتأمر عليهم ، ويترأس ، فإن تشاغل بشئ من دنياه وأبطأ على الجيران فى وقت الصلاة ، فأذن أحدهم ولم ينتظر مجيئه جرح الى حد السفه له ، وأظهر الوجد(٣) والحرد (٤) عليه ، لافساد (٥) رياسته ، وذهاب امرته ، وإذا ناب فى المسجد نائب من قسمة شئ ، أو تعاهد حرمة ، أو نعمة ، فأعانه على ذلك بعض أهل المسجد ، لم تسمح نفسه أن يزاحمه أحد فى ذلك ، ليكون الاسم له دون غيره .

وإذا كان صاحب رباط فهو مرابط فى الظاهر ، وعيال على الرباط ، ومتآمر على أهله ، منتسب فى العامة الى الرباط ، قد غلب ذلك الاسم منه على اسم الله ، فتراه يزاحم أهل الدنيا فى دنياه ، بقوة ذلك الاسم ، واذا كان غسالا للموتى فالويل منه لمن خالفه ، أو سبقه ، إلى كفن فقطعه أو ميت فغسله ، فهؤلاء مكتسبة لا محتسبة ، لأنهم بتلك الحسبة التى أظهروها ، تأمروا ، ونالوا الرياسة ، وركوب الاعناق ، عند الخلق ، فقووا بها ، على امور ، لم تكن تنفذ لهم ، ذلك أن لو لم ينسبوا الى الحسبة ، فإنما تزينوا عند الخلق بهذا ، فقوا بها حتى وصلوا بذلك ، الى ملاذ الدنيا (٦) فهؤلاء متآكلة .

---

(١) عوان : اسيرات من المعانى ، وهو الاسير .

(٢) وهذه من خطبته (صلى الله عليه وسلم) الشهيرة فى حجة الوداع . والآية هى رقم ٢٢٩ من سورة البقرة .

(٣) الوجد : الحزن ، يقال وجد عليه : اذا حزن .

(٤) الحرد : بالتحريك الغضب ، والحريد هو المنبوذ وحرد ايضا بمعنى غضب .

(٥) ما بين المعقوفين اوردناه حسب السياق .

(٦) وضعنا ما بين المعقوفين حسب السياق .

فصل : فى مجاورة البيت

واذا جاور البيت ، أظهر الجوار ، وهو هناك طالب دنيا ، قد تفسح فى تجارة عريضة ، وبضائعه مترادفة عليه ، من النواحي ، فهو منهمك فى الطواف يعدو ، ويفاخر أصحابه ، كم طفت اليوم ، فهمه صاحب هذا الاستكبار والصلف به ، والإعجاب بنفسه ، لما اعطى من القوة ، ليس هناك ضرع ، ولا افتقار ، الى الله ، وهو فى ذلك الجوار ، مصغ أذنه ، الى من يرد عليه من اهل بلاده ، فيقولون طوبى لك ، وربما فخر عليه بدخوله البيت ، ودلجه الطواف ، ترى الكبر فيه ، غالبا على أولئك الذين وردوا عليه ، من اهل بلاده .

واذا اعتزل الناس ، وطلب الخلوة ، انقبض ، وضيع الحقوق ، وساء خلقه، وذهبت عشرته ، واذا ساح (١) فى أرض الله ، وتخطى البلدان ، ذواقا ، تواقا ، يذوق من لقى ، ويتوق الى من بقى فليست هذه سياحة ، إنّما السياحة لمن قطع عمره فى قطع المفاوز (٢) والخرابات ، يسيح نهارا فيقطع الأودية ، وكلما جنه (٣) الليل ، فى مكان أوى الى خربة ، أو رباط ، ثم أصبح متنقلا عنها ، سائحا ، لا يأنس إلا فى خلوات المفاوز ، فإذا لقى أدميا اقشعر نافرا عنه ، كما قال ذاك السائح ، حين لقى فى تلك المفازة ، رجلا ، فولى هاربا ، فقال : بذنب منى لقيت اليوم أدميا ، فهذا أصدق السياحة .

وروى فى الخبر : أن الله تبارك وتعالى قال : لموسى ، صلوات الله عليه وسلم ، : «كن كالطير الوحدانى الذى يمشى فى القفار، ويأكل من رؤوس الأشجار ، كلما جنه الليل ، بات وحده ، استيحاشا من الطير ، واستيناسا بربه» ، فهذا طائر هو جنس من الطيور خلق أدبا للعباد ، وحجة عليهم ليروا كيف تكون الوحشة من الخلق والأنس بالله تعالى ، فأما من تسمى بالسياحة فتخطى (٤) البلدان فهذا متعس ، فإن لم يطمئن هو مراقب ، كلما

(١) ساح فى الارض : من السياحة ، وهى على ظهر الارض ، وهى بالحاء المهملة ، (وساخ) بالمعجمة اى ذهب واندك في باطن الارض .
(٢) قرأناها بصعوبة من الاصل المخطوط .
(٣) جنة الليل : ستره باقباله عليه .
(٤) وردت بالمخطوطة (فتخطا) وهو تحريف وتصحيف معا .

جاوز حد النفس حتى طالت غيبته (١) خالطه الخلق ، وعلق قلبه بلقائهم ، هرب لهم (٢) وامسك عن النفس ، فإن اطمأن وأنس بهم ، وعلق قلبه بهم ، وخالطت نفسه اياهم ، فهذا مغتزلا متنفس ، قد خدعته نفسه ، يزعم أنه لما تراكمت عليه الغموم ، فى خلواته ، اعطاها متنفسا ، كى يتقوى بذلك .

فاذا اعطاها ، لم يلبث الا يسيرا ، حتى خلا قلبه ، عن فوائد العطاء ، وعن ثمرة الخلوات ، وعاد الى مبتدأ امره ، من التخليط ، والبطالة .

واذا زار الاخوان مضى فى زيارته ، على سرور اللقاء ، آمنا ، مطمئنا ، نشيطا ، غير معتصم بالله ، فنعوذ بالله من شر اللقاء .

بلغنا أن سفيان الثورى ، أتاه بعض اخوانه ، فوجد الباب مغلقا ، فرجع ولم يستأذن . فقيل فلان أتاك ، فوجد الباب مغلقا ،فلوددت انه لقيك (٣) حتى أنظر الى ما يجرى بينكما ، فقال : فلان كان أنظر لى منك ، وهل فى اللقاء الا ان يتزين لى وأتزين له ، فبكى هذا القائل ، وقال أحييتنى ، أحياك الله .

وبلغنا أن الفضيل (٤) بلغه أن جرير الرازى حج ، وأنه يريد أن يأتيك غدا زائرا ، فأمر فضيل أنه يقفل عليه الباب من خارج ، فلما جاء جرير ، وجد الباب مغلقا ، فرجع ، فقال لفضيل بعض اهله : ان جريرا أتاك فلم يجدك ، فقال وهل هو الأ أن يتزين لى واتزين له .

فهؤلاء المغترون لم يفقدو هذا من أنفسهم ، وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : « من تزين للناس بشئ يعلم الله غير ذلك منه شانه الله » .

حدثنا ابن ابى حسان ، عن أفلح بن حميد عن على بن حسين ، عن ابيه قال : كان على ، رضى الله عنه ، يدعو بهذه الكلمات كثيرا « اللهم انى أعوذ بك من أن تحسن فى لامعه العيون ، علانيتى ، وتقبح فيما أخلو لك

(١) مطموسة فى الاصل (٢) غير واضحة بالمخطوطة .
(٣) وردت بالاصل (لقيك) وهو تحريف .
(٤) هو الفضيل بن عياظ بن مسعود التميمى اليربوعى ابو على شيخ الحرم المكى (رحمه الله) كان عابدا صالحا مخبتا ، كان حافظا ، اخذ عنه الامام الشافعى رضى الله عنه ، ولد فى سمرقند ونشأ فى ابيورد وهو كوفى الاصل متوفى سنة ١٨٧ هـ راجع حلية الاولياء (٨٤/٨) وصفة الصفوة (١٣٤/٢) وطبقات الصوفية .

سريرتى » محافظة على رياء الناس (١) من نفسى ، بجميع ماانت مطلع منى ، فابدى للناس حسن أثرى ، وأفضى لك بأسواء عملى ، تقربا الى المخلوقين بحسناتى ، وفرارا منهم اليك بسيئاتى كأن الثواب منهم ، والعقاب ليس إليك فينالنى مقتك على غضبك فأجرنى من ذلك ياارحم الرحمين .

(١) لأن الذى يحرص على حسن علانيته أمام الناس ، ولا يأبه بقبح سريرته أمام ربه إنما هو ذلك المشرك شركا خفيا – اعاذنا الله منه – وهذا الشرك الخفى الذى اشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم انما هو الرياء .

فصل : فى تلاوة القرآن

وإذا تلا القرآن ، فهمته إذا ابتدا فى السورة انتهاؤه إلى اخرها ، وقصد، اقامه الورد ، واختام القرآن ، هذا كهذا الشعر ، ونثر كنثر الرقل ، وانما القرآن كلام الله سبحانه ، تكلم به ، وكلم به عباده ، وأنزل كلامه وحيا تنزيلا ، مع الكسوة وكسوته نوره وقال : « يا أيها الناس قد جاءكم نور من ربكم وكتاب مبين »(١) فالنور الذى من الله تعالى ، هو أصل الأنوار ، تشعبت فصار فى كل حرف منه شعبة ، ثم ألفها العالم ، الجواد ، الجليل ، بعلمه وحكمه وعدله ، قسمه بين الحروف .

والكتاب هو الحروف المنظومة ، والكتب النظام ، منه سميت الكتيبة فى الجيش ، لانها تتبع بعضها بعضا ، فتلك الحروف المنظومة المؤلفة هى الكتاب ألفها رب العالمين ، بجوده ، ولطفه ، ثم تحكيمه وعدله ، ثم أجراها من المجرى بعزه ، محشوة تلك الحروف بأنوار المعارف ، ثم أنزلها برحمته ، تنزيلا متضمنا وحيه فيها المنن ، واللطائف لإبرازالمكنون ، والعطف على أحبابه والخواص ، والحدود ، للعبودة والنذارة ، والبشارة ، للمعونة ، والهدى ، والبيان الشافى لما فى الصدور من سقم النفس ، لاتخاذ الحجة ، وقال : « وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين الا خسارا »(٢) وقال « يأيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين »(٣) وقال «ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين».(٤) والذى قرآه بتؤدة وعلى مكث وترتيل ، كما آدبه رب العالمين . فقال : «ورتل القرآن ترتيلا »(٥) وقال : «كذلك لنثبت به فؤادك ورتلناه ترتيلا »(٦) وقال : « لتقراه على الناس على

(١) المائدة (١٥/٥)
(٢) الاسراء (٨٢/١٧)
(٣) يونس (٥٧/١٠)
(٤) النحل (٨٩/١٦)
(٥) المزمل (٤/٧٣) والترتيل فى القراءة : التبيين لها .
يقال ثغر رتل : اذا كان مستوى النبات اللسان (٢٨١/١٣)
(٦) الفرقان (٣٢/٢٥)

مكث » (١) حتى نفهم معانيه الظاهرة ، فقد أخذ بخط واحد ، فاستبشر ببشراه ، وانتذر بنذارته ، وابتهج بلطائفه ، وتواضع لأثقال منه ، وتشمر لفرائضه ، وراقب حدوده (٢)

وتداوى بأدويته ، واستشفى بأشفيته من أسقام الشهوات ، وأدواء الهوى فهذا قد احتظى بالحظ الأدنى من قربة الله ، واستغنى عمن سواه اولئك « لا يتلونه حق تلاوته »(٣) ومن هزه كهز الشعر ، ونشر كلامه من لسانه ، وشفتيه نثر الرقل . وقلبه خال من تلك المعانى ، وذكرتلك المنن ، واللطائف ، والاخذ بالحظ من الدواء والشفاء ، فقلبه سقيم ، ونفسه شرهة ممنونة . فاما شرهه فلاستمراره فى ذلك ، وقوته على التلاوة ، وحفظ حروفه مع تضيع حدوده ، واما فتنته فقسمة الأوراد واختامه وافتتاحه همته ونشاطه ، فى ذلك ، ليس له من ذلك ، إلا الصوت ، والتطريب ، وحفظ الحروف ، وهو فى ذلك صادق النية يريدبه وجه الله عز وجل ، فهو مأجور ، محمود ، على التعب الذى حمل على نفسه ، وإرادته الله ، ولكنه خال من كرامة الله ، ونيله وعطائه ومجده ، وشرفه فى العلا ، وتوجه إلى الله بكلامه ، واتخاذ الحياه عنده بمناجاته ، ووجوده لذاته ، وحلاوته ، والاستشفاء بشفائه ، فاذا صدر من التلاوة الى الاعمال ، وجدت أعماله أعمال من لم يسمع من الله تعالى كلامه ، وإذا نقدت أعماله ، وجدت بعضها مبهرجة ، وبعضها زيوفا (٤) وبعضها ستوقه (٥) وقل ما تجد فيها من الواضح ، المدرهمة الصافية نقربها بل عامتها مغشوشة لان نفسه أخذت فى كل عمل بحفظها فلم يصف له ذلك ولذلك ما روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه انه قال « تعلمنا الإيمان قبل القران ، وانكم تعلمتم القرآن قبل الايمان » رواه جرير عن ليث بن أبى سليم ، رفعه إلى عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

(١) الاسراء (١٧/١٠٦).
(٢) بياض بالأصل
(٣) البقرة (٢/١٢١)
(٤) زيوفا : زائفه
(٥) الستوق : بفتح السين المهملة ، وضمها ، أى الزيف والبهرجة ، وكل ما كان على هذا المثال مفتوح الاول ، الا اربعة احرف جاءت نوادر ، وهى : سبوح ، وقدوس ، وذروح ، وستوق ، فانها تضم وتفتح . راجع الكامل للمبرد ، والصحاح للجوهرى ، ومختار الصحاح ص ٢٨٦ فى مادة (ستق).

وروى عن ابن مسعود رضى الله عنه انه قال « ياقوم ثقلت علينا قراءة القرأن ، وخف علينا العمل به وسيجئ قوم تخف عليهم قراءة القرأن ، وبثقل عليهم العمل به »(١)

وروى عن ابى هريره رضى الله عنه ، انه قال « آنتم اقوى ألسنة ونحن أقوى قلوبا » (٢)

ولذلك ماروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « يأتى على الناس زمان يبلى القرأن فى قلوب كما يبلى القرأن » وروى عن ابي الجلد(٣) الكتب : أنه يوشك أن يخلق هذا القران فى قلوب قد طويت(٤) من الناس كما يخلق الثوب البالى تمتلئ قلوبهم طمعا وطبعا للدنيا ، لاتدخلها خشية يلبسون للناس مسوك الضأن على قلوب الذئاب (٥) أفضلهم يومئذ فى نفسه المداهن (٦). صالح بن عبد الله حدثنا عمرو بن جميع ، حدثنا عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى ، قال : « القراء ثلاثة : رجل قرأه فاتخذه بضاعة ، يطلب به ما عند الناس ، ورجل قرأ القرأن ، فاقامه باقامة الفتح ، فحفظ حروفه ، وضيع حدوده واستبدر به الولاة ، واستطال به على الناس كثر هذا الضرب (٧) من حملة القران لا كرمهم الله ، ورجل عمد إلى دو القرأن فوضعه على قلبه فسهر به ليله ، وأظمأ نهاره ، وهملت به عيناه ، وارتدو به فى محاربهم ، وحنوا تحت برانسهم ، وتسربلوا بالحزن ، وازتدوا بالخشوع ، بهؤلاء يسقى الله البلاد وبهؤلاء يديل الله (٨) على الاعداء ، وبهؤلاء يدفع الله البلاء ، والذى لا إله إلا هو لهؤلاء من حملة القرآن أقل من الكبريت الآحمر

وإن القرأن ذو أنحاء شتى فمنها موعظة ، ومنها ترغيب ، ومنها ترهيب ومنها ذكر الألاء ، ومنها نشر المنن ، ومنها صفة الثواب ، والعقاب ، ومنها

(١) اذا لم يوافق القراءة العمل كان ذلك وبالا على القارئ لأن القراءة حجة عليه
(٢) والأعمال منوطة بالقلوب والنيات .
(٣) بياض بالأصل .
(٤) كذا بالأصل .
(٥) وهذا من أمارات النفاق
(٦) المداهن : المنافق .
(٧) الضرب : النوع .
(٨) يديل الله على الاعداء : يجعل الدائرة عليهم بالنصر عليهم

وعد ووعيد ، ومنها بشرى ، ومنها ذكرى . فالعاقل يتخطى (١) هذه الأشياء كلها تخطيا يهزها هزا (٢) وينثرها نثرا .

فرجال الله ، وخاصته فى أرضه أولوا الالباب ، إذا قراءوه تحول القلب منهم تحول الكلام والمعانى فى سلطانه ووعده ووعيده ، وبشراه وبره ولطفه ، ورفقه على عادة هيئه ما خاطب الخلق لأنهم رجاله ، وعنه يعبرون كلامه اولئك عباد الرحمن ، الذين يمشون على الارض هونا (٣) .

ووجدنا قراءة القرآن لهم بمنزلة طريق يسلكونه فمرة تستقبلهم عقاب يحتاجون الى قطعها ،

وهو إثقال الصدق ، وفى أمره ونهيه تستقبلهم مفاوز ، وهو وعيده ومرة يستقبلهم فى تلك الرياض بساتين فيها الورد والبان والياسمين وهو ذكر المنن مرة يهجمون على اغراس من عنده فى تلك البساتين من حلل الورد والياسمين .

وهى تلك الحظوظ التى لهم من آلائه وتلك اللطائف المذكورة (٤) فى القرآن ، ومرة تستقبلهم ارض مشاكة (٥) هو ذكر النفوس فى الذنوب والشياطين ، فهذا القرآن كائن فيه هذه الألوان .

فمن قرأ القرآن لظهره مرت هذه الأشياء عليه ومر بها ، وهو عنها نائم ، والنائم لايلتذ الا بالنوم فقط ، ولايجد الالم ، والنصب فى حال نومه ، ومن قرأ القرآن لبطنه فإذا قطع بقلبه هذه العقاب أعيا ، واذا قطع المفاوز عطش ونصب ، واذا قطع البساتين طرب واذا طعم الآغراس سكر لان الأشربة الصرفة (٦) فى الآغراس كائنة ، فذاك وقت الوله (٧) إلى الله تعالى ، ولهت قلوبهم عن الدنيا والاخرة ، وعن كل شئ سواه ، وطارت عقولهم اليه ، واذا أتى على أرض مشاكة أن وضاق عليه الطريق ، واذا أتى على المسيعة أرعد خوفا ، واذا أتى على بلاد العدو تحير واستغاث ، وصرخ إلى ربه . فهذه الأحوال كائنة على قلوب المنيبين الذين قرأوا القرآن لبطنه .

(١) وردت بالمخطوطة (يتخطا) وهو تحريف من الناسخ .
(٢) وردت بالمخطوطة (يهذها) وهو تحريف خطأ .
(٣) وردت بالمخطوطة (هذا) وهو خطأ والصحيح ما أوردناه .
(٤) و (٥) بياض بالاصل .
(٦ الاشربة الصرفة : الخالصة المحصنة غير المذوقة .
(٧) الوله : الذاهب العقل المتحير من شدة الوجد .

وفى هذا الطريق خانات ينزلونها ، فاذا أتوا على تلك الخانات نزلوا واستراحوا ، وهو أن يلطف الله لعبده ، عندما يرى ما حل بقلبه من التعب والنصب (١) فى قطع هذا الطريق ، على ما وصفنا فيفتح له فى بعض هذه الأمكنة من بعض تلك الآيات ، ويشرق على قلبه من نوره ، فيردد تلك الآية ، فربما بقى معها ساعات ، مما يتراءى له فيها ، فذاك مستراح (٢) قلبه فى ذلك الوقت ، يحط رحله ، ويحل بفنائه . وهذا قول مالك بن دينار ، رحمه الله ، فيما يحكى عن التوراة ، انه قال « يابن أدم لا تعجز ان تقوم بين يدى ، فى صلاتك باكيا ، فانى انا الله الذى اقتربت لقلبك ، وبالغيب رآيت نورى » وربما طمعوا فى النزول اذا بلغوا تلك الخانات ولم تصبهم تعب ، ولا نصب ، فيما مضى من القراءة ، فطمعوا فى حظ الرجال لما كانوا وجدوه ، تبيل ذلك فى المقدم ، فداروا عليه ، ورددوا القراءة ، وتدبروا (٣) يريدون حط الرحال من غير عناء واستراحة من غير نصب ، يطمعون فى اشراق ذلك النور ، تلذذاً بفناء الملك ، الماجد ، الكريم ، فيجدون تلك الخانات ، لم تتهيأ لهم هناك نزل ، وانما هو أودية خالية وبيوت صفر (٤) فيرتحلون ، ويمضون ، واذا هيئ النزول فقد وجدوه ماطلبوا ، فاذا رددوه تراءى (٥) للقلب شعاع ، فالتهب بالنور وتصورت تلك المعانى المندمجة فيه على قلبه ، وصار طربا فى شمعه ، فأعمله وأبكاه .

فمثل من يطلب انكشاف الغطاء فى مبتدأ قراءته (٦) من قبل ان يتعب ، وينصب ، كمثل من ارتحل من منزله فلما سار فرسخا (٧) طمع فى حط الرحل عند اول خان يستقبله كذلك جعامة النفس فيلجا الى حط الاستراحة .

وقد ذكر فى باب الزهد وهو حديث مروى فى البخارى : أن رجلا صلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انصرف قال : النبى صلى الله عليه

(١) غير واضحة بالاصل .
(٢) الاصوب ما اوردناه . وفى المخطوطة (مستراح) .
(٣) التدبر : القراءة بتأمل .
(٤) بيوت صفر : خالية من ساكنيها .
(٥) وردت بالمخطوطة (ترايا) والاصح ما اوردناه .
(٦) وردت بالاصل (قرأته) وهو تحريف وتصحيف معا .
(٧) الفرسخ : واحد الفراسخ وهو فارسى معرب .

وسلم لأصحابه : إن هذا الرجل من أهل الجنة فقال عمرو بن العاص لابنه عبد الله ابن عمرو : يابنى إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فى هذا الرجل ماقال ، وانك تصوم النهار وتقوم الليل فأته فاستضفه فانظر ما عمله فأتاه فقال ياعماه الضيافة ؟ فقال : نعم فاذا له خيمه ونخلة(١) وشاة ، فلما أمسى خرج من خيمته فاحتلب العنز واجتبى لى رطبا ثم وضعه فاكلت معة فبات نائما ،وبت قائما فأصبح صائما (٢) وأصبحت صائما ففعل ذلك ثلاث ليال فقلت له : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيك:انك رجل من اهل الجنة فاخبرنى ماعملك ؟ فقال : فانت الذى أخبرك لخبرك بعملى .فأتيت النبى صلى الله علية وسلم قال : اتيه فامره فليخبرك فقلت له : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرك ان تخبرنى قال اما الان فنعم لو كانت لى الدنيا فأخذت منى لم أحزن عليها ، ولو اعطيتها لم افرح بها وابيت وليس فى قلبى على احد » : فقال عبد الله لكنى والله أقوم الليل ، واصوم النهار ، ولو وهبت لى شاة لفرحت بها ، ولو ذهبت لحزنت عليها ، والله لقد فضلك الله علينا فضلا بينا .

وعن ابن مسعود :قال : لايكمل عقل رجل حتى يكون فيه خصال عشر : الرشد منه مأمول والكبر منه مأمون ، ولايتبرم (٣) ممن يطلب الحوائج قبله ، التواضع اليهم من الشرف ، والذل أحب اليه من العز، يستقل كثير المعروف من نفسه ، ويستكثر قليل المعروف من غيره نصيبه من الدنيا القوت ولايسأم من طلب العلم طول عمره ، والعاشرة ما العاشرة التى شاد بها مجده وعلابها ذكره الايرى الا ان جميع الناس خير منه فإنما الناس رجلان :رجل خير منه وافضل ، شاقه ذلك وأحب ان يلحق به واذا راى من هو شر منه وأدنى قال : لعـل هذا ينجو واهلك ولعل خير هذا باطن وهو خير له ، وخيرى ظاهر ، وهو شر لى .فذاك حين استكمل العقل وساد أهل زمانه ، واذا تنفل(٤)النوافل من أعمال البر ، استخف بالفرائض .

وطابت نفسه بالنوافل فتلك جعامة النفس وبطالتها ، وتلك سيئات فى مكر ، قال الله عز وجل : «والذين يمكرون السيئات لهم عذاب شديد ومكر

(١) وردت بالمخطوطة «ونحله» وهو تصحيف .
(٢) غير واضحة بالاصل .
(٣) التبرم : السآمة ، يقال تبرم به اى سئمه .
(٤) تنفل : تقرب بنافلة .

أولئك هو يبور »(١) فمكر السيئات ان يعمل عملا ظاهره حسنات ، وباطنه سيئات يرائى العباد بحسناته ، ولايبالى مما يرى الله فى باطنه ، فتلك اعمال قد ماكر الله بها .

فهم هذه الطبقة تراهم مستخفين بالفرائض والنوافل ، فهم على مال عظيم يصلى احدهم الفريضة المكتوبة ، فلاترى لها روحا وطيب نفس ، وسرور قلب كانه لم يعمل شيئا .

فاذا صلى صلاة الزوال ، وصلاة الضحى ، أو قام فى ليلة وجد ذلك العمل قائما نصب عينه فتزه عينه به ، واذا فاتته صلاة مفروضة لم يجد لفوتها من الأسف ، ما يجد على فوت قيام ليلة أو ورد عجز عنه ، أو جنازة فاتتـه ، فان ذكر الاخرة وأهوالها سبق الى قلبه ذكر هذه النوافل وانخنس (٢) عنه ذكر المفروضات ، وان اشرق على الموت لحظ بقلبه ، والى اعمال البر دون الفرائض ، كانت تلك النوافل أكثر سوادا فى راى (٣) العين من المفروضات اعنى شخص الحركات ، فتزاحم اعمال النوافل على قلبه ظاهرحرصا عليها وطيب نفس بها إذا عملها واسفا على فوتها ، واتكالا عليها عند الموت ، فهذا غرور عظيم .

وإنما دخل الغبن فى العبودة لله من فضول العلم بالعبودية حتى نالهم الغبن(٤) وحتى قال قائلون من اهل العلم : اذا وجدت الامام فى صلاة المكتوبة بالغداة فلا تدخل فيها حتى تركع ركعتى الغداة ، وذهبوا الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » (٥)

وقوله صلى الله عليه وسلم : « لاتدع ركعتى الفجر فان فيها الرغائب» فانما معناه عندنا ان لاتتركهما حتى تصليهما ، يعلمك ان هاتين الركعتين ، ليستا كسائر السنن لأنهما فى وقت عظيم شأنه قد انتدب للتسبيح عند انفجار الفجر من لدن العرش الى الثرى ، ونادى منادى العرش : يايها

(١) سورة فاطر : الآية رقم (١٠)
(٢) انخنس : استتر .
(٣) اى فى حال المعاينة .
(٤) الغبن فى البيع : الخسران فيه .
(٥) رواه مسلم والترمذى من حديث عائشة رضى الله عنها .

الخلائق ، سبحوا الملك القدوس ، فاول التسبيح الانتصاب (١) لله بالركعتين واستقبال الله سبحانه بهما ثم من بعد ذلك التسبيح قولا فإنما ندبك رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة هاتين الركعتين وقدرهما وخطرهما لا أن نعرض عن الفريضة فى وقت إقامتها ، وقد قال المؤذن «قد قامت الصلاة» وانت تعرض عن قوله إلى صلاة اخرى ، وقد قال الله فى تنزيله : «واذا قيل انشزوا فانشزوا»(٢) اى اذا قال المؤذن «قد قامت الصلاة» فانشزوا فانه دعاك الى النشز .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اخبار تتابعت عنه : «اذا اقيمت الصلاة فلا صلاة إلا المكتوبة» ودخل المسجد وبلال يقيم لصلاة الغداة ورجل يصلى الركعتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة(٣) ويحك ايصلى الصبح اربعا » فلولا الاغترار من النفس لكان يحتمل قول من يميل الى هذا القول ان يقول «فصليهما والامام ، والقوم فى المفروضة» واحتج بحديث من قولة «لاتدعهما» ومن قوله «ركعتى الفجر خير من الدنيا وما فيها» فليس فى قوله دلالة على ما يوهيه بل كل ركعتين فى وقت عند ذلك الوقت ايضا خير من الدنيا وما فيها .

وحدثنا عيسى بن احمد العسقلانى ، حدثنا بقية عن المطعم بن المقدام ، قال : سمعت عبدة بن ابى لبابة قال يقول : «يقولون ركعتى الفجر فيهما رغب الدهر وطرفه عين من صلاة المكتوبة ، خير من الدنيا وما فيها » .

عن (٤) ابى رحمه الله حدثنا صالح بن محمد حدثنا ابان البلخى ، عن الفرات بن السايب ، عن ابى اسحاق عن عاصم بن ضمره عن على بن ابى طالب رضى الله عنة قال : «استبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا فى الصلاة فقال له وأدركت معنا الصلاة قال نعم قال : فادركت معنا حدها قال وما حدها ؟ قال : التكبيرة الاولى قال فما حد من لم يدركها (٥) فاعتذر

(١) الانتصاب لله : القيام فى نشاط وخفة لندائه وأمره .

(٢) المجادلة (١١/٥٨)

انشزوا : قوموا ، وقد قرأها نافع وابن عامر ، وعاصم وحفص بضم الشين ، لكن قراءة الجمهور بالكسر . راجع القرطبى (٢٩٩/١٧) والطبرى (١٤/٢٨) وابن منظور فى لسان العرب (٢٨٥/٧)

(٣) غير واضحة بالاصل . (٤) ساقطة من المخطوطة .

(٥) ما بين المعقوفين حسب السياق اوردناه .

بعذر فقال : « لو كان شغلك عنها ألف ناقة سوداء جعدة يحمل عملها فى سبيل الله كان أن تدرك حد الصلاة خير لك من ذلك »

حدثنا ليث بن جذيمة ، حدثنا منصور ابو رباح ، عن انس بن مالك قال : رسول الله صلى الله علية وسلم «لو كان معك جرابان جراب من دنانير والاخر من دراهم لكانت التكبيرة الاولى اعظم منها » .(١)

قال ابو عبد الله يعنى : أن يتصدق بهما .

حدثنا عمر بن ابى عمر ، حدثنا سعيد بن سليمان ، عن عثمان بن مطر عن ثابت ، عن انس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله «سابقوا إلى مغفرة من ربكم قال التكبيرة الاولى» (٢) فأهل العز فى خلو من هذه الاشياء ويحج احدهم حجة الاسلام ، ويؤتى الزكاة ، ثم يتصدق على الفقراء ، ويبنى الرباطات والخانات ، والمساجد ، فيجد على قلبه من السرور بها والالتجاء اليها بقلبه يوم القيامة ، مالا يجد للمفروضات ، ولركعة من المكتوبة خير من عمرة تطوعا ، ولدرهم من زكاته افضل من التصدق بجميع ماله وبحجة الاسلام افضل من جميع عمره حجا ، فالمفروضات شفاء الدواء وتكفير الذنوب ، والنجاة من النار ، والنوافل زيادة فى الثواب ، بعد النجاة ، فعظم الثواب ، والكرامة ، والقبول ، فى المفروضات .

الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما من أحد يتوضأ فيبلغ الوضوء اماكنه ، ثم يصلى الصلاة بحدودها ، ومواقيتها ، ومعالمها ، الا رفعت له بيضاء مسفرة يستضئ بنورها من بين الخافقين»(٣) الا الثقلين الجن والانس ، فاذا رفعت الى الله تعالى ، التفتت وقالت : حفظك الله كما حفظتنى ، حتى تنتهى الى العرش ، فيأمر الله بها أن توضع فى صف الملائكة ، فتقام هناك حتى يصلى عن صاحبها إلى أن تنقضى الدنيا » .

(١) وهذا ندب يجب الالتفات اليه .

(٢) الحديد (٢١/٥٧) راجع القرطبى فى جامعه (٢٥٥/١٧) ويقصد بعرض الجنة اى سعتها ، وليس ضد الطول الذى هو مظنون عند اكثر الناس ، لان العرب تقول : بلاد عريضة فتقصد بها واسعة .

راجع المادة فى لسان العرب لابن منظور (٢١٥/١١) والجامع لاحكام القرآن للقرطبى (٢٠٥/٤) .

(٣) الخافقان : المشرق والمغرب ، والثقلان : الإنس والجن .

حدثنى بذلك عيسى بن احمد العسقلانى ، حدثنا بشر بن بكر التينسى ، عن سعيد بن سنان عن ابى الزاهريه ، عن ابى شجرة ، عن عبدالله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

فالمغتر يستخف بالفرائض ، ولا يستخف بأحكامها ، وتوقيرها ، والتضرع الى الله تعالى فى قبولها ، ولا يلحظ الى باله بها ، كيف هو ، هل يعظمها ويوقرها ، فإن من توقير الصلاة التأهب (١) لها قبل دخول وقتها ، ومراعاة الشمس والأظله لدخولها ، الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «خيار عباد الله الذين يراعون الشمس والقمر والنجوم والاظلة لذكر الله» (٢) .

حدثنا بذلك عبدالجبار بن العلاء ، حدثنا سفيان بن عيينة ، عن مسعد بن ابراهيم السكسكى ، عن عبدالله بن ابى اوفى (٣) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وروى عن عائشه رضى الله عنها انها قالت : «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدثنا ونحدثه فاذا حضرت الصلاة فكأنه لم يعرفنا ولم نعرفه ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ان الرجل ليصلى الصلاة ولما فاته من وقتها أفضل من اهله وماله» وتراه نشيطا مسارعا فى النوافل ، ومسبوقا فى الفرائض حتى يريد الوقت ، فاذا قضاها مع الكسل ، والوساوس ، والتجويز «والسامدين» (٤) فهذا مغرور كل الغرور

(١) التأهب : الاستعداد .

(٢) رواه الحاكم والطبرانى وابو نعيم عن ابن ابى اوفي مرفوعا .
راجع التمييز ص ٧٣ .

(٣)وردت (اوفا) بالمخطوطة ، والاصح ما اوردناه .

(٤) في الاصل المخطوط كلمة غير مفهومة ، ولعله يقصد بها السامدون : وهى جمع سامد وهو اللاهى الغافل .

فصـــل : فى بناء المساجد

وتجده يبنى مسجدا ، ويزخرفه ، ويزوقه ، ويزعم انه يعظم بيت الله تعالى، ويعمر مساجد الله من أجل الله ، وانما تعظيم بيته ، وعمارة مسجده ان ينفق فيه من المال الحلال ، ويحكم بناءه ويتقنه ويتجنب كل شئ ينهى المصلى إذا دخله ، لأن المساجد انما بنيت للصلاة ، وللذكر ، وتك عمارة المساجد ، فاذا زوقه ، وزخرفه ، صار فتنة فى الناظرين ، لأن عامة من يدخلها يلهى قلبه عن ذكر الله تعالى ، وعن إقامة الأدب عند دخولها بذلك الزخرف الذى فى سقـوفه ، واساطينه وجدرانه . فهذا أول ضرر وفساد ، لأن من أدب الداخل أن يكون ذاكرا بقلبه بيت من دخل ، ولماذا دخل ، فاذا فاتـه هذا الأدب ، فهل كان سبب فوته إلا ما ألهاه من النظر الى تلك الألوان ، والى الزخرف الذى هناك ، فهذا الفاعل لهذا يزعم انه معظم لبيت الله ، وقد فتن المؤمنين وفوتهم التعظيم لذلك .

وروى لنا عن مالك (١) بن دينار أنه قال : دخل رجلان مسجدا فدخل أحدهما فقام الأخر على الباب ، وقال مثلى يدخل بيت الله ، فكتب على المكان عند الله صديقا . وحدثنا بذلك عبدالله بن ابى زياد ، عن سيار عن جعفر عن مالك . وقال الحواريون ما مسيح الله ، انظر الى مسجد الله ما احسنه فقال : آمين آمين بحق اقول لكم لا يترك الله فى هذا المسجد حجرا قائـما على حجـر ، الا اهلكه بذنوب اهله ان الله لا يصنع بالذهب ولا الفضة ،ولا بهذه الحجارة التى تعجبكم شيئا ان احب القلوب الى الله تعالى القلوب الصالحة ، بها يعمر الله الارض وبها يخرب اذا كانت على غير ذلك.

حدثنا ابو سنان ، حدثنا الحكم ، حدثنا صفوان عن الازهر بن عبد الله ، عن مسلم بن سلم : انه لما فرغ من تزيين مسجد حمص ، كتب الى الوليد بن عبد الملك انْ احضره من قدمائهم وصالحيهم فليدعوا لامير المؤمنين بالصلاح والعافية والبقاء .

فدعا ناسا من الجند فيهم عبد الله بن بشر ، فقال له يا أبا صفوان كيف ترى هذا المسجد ؟ قال : اراه حسنا ملهيا ، وعن ابى الدرداء قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا زخرفتم مساجدكم ، وحليتم مصاحفكم فالدثار عليكم» .

(١) وردت بالمخطوطة (ملك) وهو تحريف وتقدمت ترجمة مالك بن دينار .

وعن ابن عباس قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «انى لم اومر بتشيد المساجد ولا زخرفها كما زخرفت اليهود والنصارى بيعها »(١)

حدثنا بذلك سهل بن عطاء بن حيله ، عن ليث بن ابى مسلم عن ابى فزاره، عن يزيد بن الاصم ، عن ابن عباس ،

وعن الحسن ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اراد ان يبنى مسجد المدينة اتى جبريل عليه السلام فقال «ابنه سبعة ازرع طولا فى السماء لا تزخرفه ولا تنقشه» . حدثنا الجارود حدثنا عمرو بن هارون ، عن موسى بن السعيد ، عن حوشب عن الحسن بذلك . حدثنا سهل بن العباس حدثنا ابو معوية عن عاصم الاحول ، عن ابى عثمان النهرانى ، عن ابن عباس انه رأى مصحفا قد زين بالفضة فقال «تغرون به السارق وزينته فى جوفه» . قال ابو عبد الله (٢) رحمه الله ، فتجد احدهم يشترى مصحفا بألف مزخرفا مزوقا ، وقد ضيع ما فيه من العمل ، وأمسكه لنهمة نفسه اما رياء ،واما منافسة فى زينة الدنيا

فلو جعل ذلك فى صلة رحمه ، وقضاء حق جيرانه ، واشباع بطون المساكين ، وكسوة العراه منهم لكان ذلك أفضل له واتقى لربه .

وإذا اقبل على مثل هذا فانما يغتر فى اودية المغترين ولذلك يحرم تركه ما فيه .

حدثنا الفضل بن محمد ، حدثنا الربيع بن مسفر عن عثمان بن جبير عن عمر بن عبيد ، عن مسعود قال : يكثر الحاج فى أخر الزمان بلا سبب ، يهون عليهم السفر ، ويبسط لهم فى الرزق ويرجعون محرومين مسلوبين يهوى بأحدهم بعيره بين القفار (٣) والرمال ، وجاره مأسور الى جنة لا يؤسيه ، واذا سار فى ميدان الوعظ التقط من الأحاديث فضائل أعمال البر يلتمس بذلك موافقة المجتمعين اليه ، والمستمعين له ويزعم انى اجدوهم على الصالحات وقد وعد الله الذين امنوا وعملوا الصالحات الجنة فتولعهم (٤) بالفضائل ، وقد ضيعوا الفرائض واذا أراد أن يزين مجلسه ببكاء القوم قصد

(١) البيع : جمع بيعه ، وهى معابد النصارى .
(٢) اى الحكيم الترمذى (رحمه الله) وهذا من الناسخ .
(٣) القفار : الصحراء المقفرة ، التى لا ماء فيها ، ولا نبات .
(٤) ولعهم بالفضائل : جعلهم مولعين بها اى كلفين باداتها .

لأحاديث فيها ترقيق ، وقصص المرسلين وتقبيح السيئات عند الخلق ، الوعد والوعيد ، وضرب الامثال كى يعقلوه ، فهذا المغتر بمواعظه ، لما يرى من رقة القلوب ، بتلك الفجائع ، يتبعها حتى يقيم سوقه بذلك ، وينفق بضائعه ، ويكون باب حانوته مفتوحا ، ثم يتوقع من ذلك ارباح بضائعه فى سوقه على حانوته الاكرام عليه ، والتعظيم له ، والارهاق للحطام .

فصـــــل : فى ميدان الدعاة

واذا سـار فى ميـدان الدعـاة ، إلى الله تعالى ، التمس من شمائل السلف ، حكايات بكثير بها كلامه ، يزعم انى اجدوهم على خوف الخائفين ، وصدق المجتهدين ، فلو فكر فى نفسه ، وتدبر بعقله ، ان هذه الحكايات التى يحكيها ، إنهم قالوا ، وانهم يفعلوا ، لا يهديهم للداء ، ولا بشفاء الداء ، وانما ذلك تلمظ بكلام ، يقرع الأذان ، فإذا وصل إلى القلب من أين يؤتى هذا الامر ، وفى أين ينال . ومثل قائل هذا كرجل دخل إلى السوق فنظر إلى الاشياء الموضوعة ، فى صفوف السوق ، الى المأكول والمشروب ، والملبوس والمركوب ، ثم خرج منها فأخذ يحكى تلك الأشياء فهو بحكاياته يتلمظ بشفتيه ، وصدره ، منها خال ، وهو من الارتفاق بها بعيد . وانما الدعـاة الى الله على ضربين : فضـرب يدعـون إلى حـق الله ، وضـرب يدعون(١) الى الله ، فالدعاة الى الحق ينطقون عن تدبير الله فى أمر المملكة فى الناحيتين ويشيرون الى الاعمال الصالحة . والدعاه الى الله فردا ، ينطقون من منن الله ، وعن كرم ربنا وجوده وسعة رحمته ، ومجده ، ويشيرون إلى دوام القلوب مع الله ، ويدورون معه فى جميع أمره ، قال له قائل وما منطقه عن التدبير ؟ قال يبسط له بساط التدبير كيف ابتدا فى الخلق ، ومن أين بـدؤه ، وكيف جرى التدبير ، فى خلق الخلق ، واظهر إنى انما خلقت لكم مما فى الارض جميعـا ، وانـزل فى تنزيلـه «هو الـذى خـلق لكـم الأرض جميعا »(٢) ثم قال : «وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه» (٣) قيل له فما منطق الدعاة الى الله عن مننه ؟ قال : المنن فى الخزائن مستورة عن العباد ، لا تنال الا بالدعاء والتضرع ، وإلقاء النفس بين يديه فابتدأ بالمنة ، واقتضى الشكر عليها ، ووعد المزيد ، ومن زاد زاده الله ، وقد شرحنا هذا فى كتاب الدعا ة وصدقهم واحوالهم .

(١) مطموسة بالاصل.
(٢) البقرة (٢/٢٩)
(٣) الجاثية (٤٥/١٣)

فصل : فى المريدين

واذا سار فى ميدان المريدين ، ليلج منازل القربة ، متقربا الى الله تعالى ، بقطع المسافات بتلك الخطى ، متعلقا بأحضان المعرفة فاذا ما تشمموا أدنى رائحة الطريق ، تنكروا لما عرفوا وبشموا(١) بما تذوقوا من الطعم من تلك الرائحة التى تشمموا ، وبدلوا بما أرادوا وملوا سيرهم ، وقعدوا مرتعين على بساتين النفس ونزهها ، وكان مبتدأ سيرهم : الوصول الى نزهة القربة ، وبساتين الألاء ، وانما جعل الله فى طريق المريدين اليه نزهة العطايا وبساتينها ، ليخفف عنهم أثقال السير ، وقطع عقاب النفس ، بنزهة العطايا، وبســاتين الذكـر فى العـطـاء ، كـى يستمروا فى السير ويدأبوا(٢) فيه ، ولا يحتاجون إلى الاستراحة ، لأن أثقال الصدق ، يحتاج الصادق فيه الى الراحة، لانه فى جهد جاهد ، وحرب حارب ، لانه ليس له مدد من ربه ، إلا من باب الرحمة ، وهذا مدده من ربه من باب المنة ، من خزائن الكرم ، فقد ارتفعت عنه أثقال السير ، والصدق ، فى السير ، فصار له بالعطاء فى كل منزل متنزه ، وبستان ، يتفرج بالنزهة فى المنتزه ، وتطيب نفسه بنسيم تلك الرياحين ، قال له قائل ما هذا ؟ قال : إن لكل عطاء ، نظرية الى المريد فى سيره نور من باب أعلى من الباب الذى كان قبله ، فذلك عطاؤه ، وتلك نفقته ، التى ينفق فى سيره ، يتقوى بها ، فاذا أشرق ذلك العطاء ، فى صدره صار ذكره أنور ، ونفسه بذلك اطيب ، وجميع أعمال بره أنور ، واطهر ، ونفسه بذلك أسخى والتردد عليه فى فعله أخف ، وكراهته ونفله ، وكسله ، وتباطنه ، فى ذلك عنه أبعد .

فبالذكر الأنور تشم رائحة القرب ، وتتلون عليه رياحينه .

لانه فى رياض القربة وبطهارة الاعمال ، يتقلب فى نزهة الرياحين ، من الحية والنزهة ، من القيومية ، فهذا صادق فى سيره ، مادام على هذا دؤوبا دؤوبا (٣)لا قرار ، ولا التفات ، إلى شيئ من هذا ، حتى يصل الى مولاه الذى تولاه .

فاذا جاءته نفسه الخبيثة التى غرته ، فاغتر بغرورها وجاءه عدوه إلذى

(١) بشموا : من البشم وهى التخمة .
(٢) يدأبوا فيه : يستمروا فيه .
(٣) وردت بالمخطوطة (دوبا دوبا) وما اوردناه اصح

يموت كمدا من سيره الى ربه العظيم حبسه ، فخدعه ، وزين له نفسه ، فانخدع ، وقبل منه ما حدثه به ، افسد عليه الطريق ، وانسد الباب ، وانقطع العطاء ، وبقى المخذول مع هذا القدر ، الذى سار ، وقدر ما أوتى من العطاء ، فهو بقوة هذا العطاء ، يشترفى حبل العطاء ، كما تشتر الدابة الشبقة «المرحة» في أيام الربيع فى طولها ، فلا تزال شبقة ومرحة يغلى فيه حتى تثب الوثبة بعد الوثبة ، فاما ان يقطع حبل طوله واما ان ينزع وتده الذى عليه قيد ، فان نزع الوتد فقد وقع فى الاهواء والضلالات وانقطع عن الملة ، وان انقطع تردد فى المعاصى ، حتى يتردى فى أبار الفتنة .

ولذلك قوله لموسى صلوات الله عليه وسلم «يا موسى ان انقطع حبلك منى لم تصل بحبل غيرى الى ما عندى» وقال فى تنزيله «واعتصموا بحبل الله جميعا» (١)ثم قال :«واعتصموا بالله هو مولاكم»(٢).

فالاعتصام بحبل الله لمن اعتصم بالله فى الاعتصام بحبل الله ، وقال «ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم»(٣)فالمهتدون اعتصموا بالله حتى مكن لهم بين يديه فعندها اعتصموا بحبل الله ، فأقربهم إليه من طالت يده حتى نال أصل الحبل ، فذاك أعلى منازل القربة .

قال له قائل ما الذى حمله علي الأستان(٤) والثوب مرحا ؟

قال : إن فرح العطاء اذا نالت النفس منه ، غلت على المراجل فرمت بصاحبها الى اثار الفتنة .

وذلك أن الفرح شئ غالبه ، يسيئ القلب ، فذاك فرح مبتداه محمود ، عال، فصاحبه يرى أنه فرح بالله وليس هو بالله ، انما هو فرح بعطاء الله ، فاذا أخذت النفس نصيبها غلت على القلب والعقل ، ومالت بهما الى الفتنة والبلاء ، وتجرأ القلب بما راى من سعة أمر الله ومعاملته العباد ، فى تلك الفسحة ، وتلك السماحة من الرب ، وينظر الى أعمال بر قد احتوشه(٥) ، وربما كان صاحب هذا ذا منطق ، وطلاقة ، ورئاسة ، فتشمه عليه النفس تكثيرا أو تزاحما وتمويها عليه ، حتى تستر عيبه بهذه المحاسن ، فاذا رضى

(١) آل عمران (١٠٣/٣)
(٢) الحج (٧٨/٢٢)
(٣) آل عمران (١٠١/٣)
(٤) الاستان : من استن اى اسرع .
(٥) احتوشه : احاط به ، فجعله وسطه .

هذا من نفسه ، فهو مغتر ، قد ترك الطريق ، ورفض السير الى الله تعالى ، وأصابت النفس منيتها فخدعت القلب ، وكان القلب ابلها(١) فانخدع لها ، فما زال به الكذب فى هذا الطريق حتى انقطع العطاء ، وبقى كالطير الذى نتف ريشه ، وانكسرت اجنحته .

فهذه احوال المريدين افتضحوا وفضحوا الصادقين منهم بما انكشف عنهم من سوء المذهب ، وعلائق النفس، واستوجبوا المقت(٢) من الله، حتى ظهر ذلك المقت ، على قلوب العباد لهم لما تحولت إرادتهم من الوصول الى الله إلى ارادة التآكل لحطام الدنيا ، وقضاء المنى ، وطرب النفس ، لافراحها ، ابتدؤا فى مبتداه ، لقطع العلائق ، ورفض المنى ، وأحزان النفس ليصلوا الى الله ، فشدوا عقد العلائق وأكدوها ، وقووا أفراح النفس ، ليستمر الهوى على تلك الافراح وتقوى جبريته ، ثم ومن بعد ذلك طبقة أخرى وصلوا إلى منازل القربة ، فنالوا المستقر هناك ، على شرط الثبات هناك ، وذلك أن الله تبارك اسمه رحم جهدهم وتعبهم ، وعلم صدق مرادهم وتخليطهم فى فعل الصدق ، فصفح عن تخليطهم ، ولم يناقشهم ، حسابا فى الطريق ، ولا واقفهم(٣) على تلك العيوب ، تجافى لهم(٤) عنها وتجاوز(٥) كرما ، فدام تعبهم وجهدهم على ذلك ، حتى اضطروا وبقوا متحيرين فعند ذلك رحمهم ، وكشف لهم عن الغطاء ، وأوصلهم إلى منازل القربة فلما وصلوا إليهم ، عتقوا من رق النفوس ، وصاروا أحراراً ، فارتفع عنهم أثقال الكد ، والتعب ، واقاموا الصدق فى الامور بلا تعب ولا جهد .

لأن النفس قد حبست فى أنوار القربة ، وألقت بيدها سلما ، فمكن له فى القربة على شرط الثبات .

وهذا ابتلاء للعبد من ربه ، لينظر هل ثبت ، وليبرز صدقه فى مبتداه فى الانقطاع اليه لماذا انقطع اليه ؟ فان الصادق يقول : اياك أريد ، فعلامة

(١) كذا وردت بالاصل .
(٢) المقت : الكراهة والبغض .
(٣) يقصد ولا يؤاخذهم بها .
(٤) تجافى لهم عنها : تجاوز عنها .
(٥) وردت بالمخطوطة (وتجاز) وهو خطأ من الناسخ .

صدقه أن لا يقيم مادام في الطريق على شئ ولا يعرج(١) على شئ ولكن يسير دؤبا دؤبا ، حتى اذا وصل الى القربة ، اندس في بعض تلك المنازل، ولا يبرح ، لأن القربة مأمن ومن دونها مخاوف ، فاذا قصد نور القربة كان حقيقة صدقه ، أن يأنس بالقربة أنسا لا يبرح(٢) فينشر في اعمال البر ، لانه مع النفس بعد ، ولم يصل إلى ربه ، انما هو مع قربة ربه .

فالحديث هناك أعظم ، فاذا كان القلب ، أبلها(٣) فوجد قوة نور القربة، حسب أنه وجد ربه ، ولما وجده بعد ، فذهب بتلك القوة ، فاخذ في اعمال البر ، يتخطى من عمل الى عمل ، وفي الأعمال خطر عظيم ، لانه مع الخلق، والهوى ، والنفس ممازجة ، واخذ في الدمدمة ، يزعم : انى ادعوا الناس الى الله واوصلهم إليه .

وهو بنفسه لم يتأكد ثباته ، ووصوله ، لم يصل اليه ، إنما وصل الى قربة فحسب ، إنه وصل اليه ولا يعرف ما الوصول ، فاذا نزح(٤) ، من المكان اتى اعمال البر ، والدعاء إلى الله ، والهوى ، والنفس معه ، أخذت النفس بنصيبها .

فاذا رجع الى القربة بذلك العمل وفيه تصنع أومراءاة أو طلب مدح فذلك عمل غير مقدس ، فلايترك في منازل القربة ، ومواضع القدس عمل المستغنين ، وأهل العلائق ، فبقى عن الوصول الى ذلك المكان ، وصار عبد نفسه ، بعد أن كان حرا ، وانما صار كذلك ، لأنه حرره على شرط الثبات ، فهو بمنزلة مكاتب كوتب على مال ، فمن قبل أن يؤدى المال عد نفسه من الأحرار ، فإذا شهد لم تقبل شهادته ، وجميع أحكامه في حكم العبيد ما بقى عليه درهم .

فهذا غرور عظيم ، والذي كاس في ذلك ، علم أن منازل القربة موضع القدس فليس بحقيق(٥) ان يتلطخ قلب بعمل فيه هوى ، ويصيب النفس أن يرجع الى مواضع القدس ، ومنازل القربة ، فتسكنها .

فاذا ثبت هناك ولم يبرح حتى يكون الله هو الذى يزعجة لعمل ، فاذا

(١) لا يعرج على شئ : لا يتلث عليه .
(٢) لا يبرح : لا يزول .
(٣) كذا وردت بالمخطوطة .
(٤) نزح : غادر المكان .
(٥) حقيق : قمين وجدير بالشئ .

ازعجه ربه ، بذا بحراسته حتى يعمل ذلك العمل بلا هوى ، ولا نصيب نفس ، إنما يعمل الحق ، الله ، فإذا رجع بذلك العمل إلى مواضع القدس ، رجع بما ذهب مع القدس والطهارة ، ولم يكن عليه وبال من ذلك العمل .

وذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، «لا تسأل الامارة فإنك ان أعطيتها عن غير مسألة اعنت عليها »(١) فكذلك هذا لما نزل منزلا من منازل القربة ، بمن الله عليه ، ورحمته .

واياك قلت بعقلك الوافر هذا من ، وما دون القربة مخاوف ، فأنا ألا أبرح من هذا إلا بفريضة لازمة ، وسنة واجبة ، فأما ما سواهما من النوافل ، فانى ان عملته بقلب قد شركه الهوى ، وشهوة النفس من النساء والمدح ، فإذا رجعت إلى المكان رجعت بقلب قد تلطخ بتلك الشهوة ، وتدنس بذلك الهوي ، لم اترك في طهارة القربة ، منازل القدس ، فلا أبرح ، فإن الزمنى ربى شيئا ، من طريق وجوب حق ، أعلم انه قد وجب على فاذا برحت(٢) من المكان إلى ذلك العمل ، فإنما أنزح بعلم اله ، فعونه معى ، وتأييده وحراسته ، فاذا مضى على هذا وفاء الله له بالتأيد والعصمة ، واذا لم يكن ذلك العمل مما وجب عليه ، فانما يريد تطوعا ، يتقرب به إلى الله تعالى ، فأى حمق أشد من هذا ، من أين يريد أن يتقرب إلى الله بعمل ، قد مازجه هوى وشهوة ، وقد نال القربة ، فهذا حمق وجهل عظيم ، فصاحب هذا مخادع ، يخادع الله ، فلذلك يرمى به في مكان سحيق . والكيس ثبت ها هنا في القربة فلم يجاوز الفريضة والسنة(٣) .

والواجب الذى يجب ، فأمر حادث ، فهذا صادق في أنه اراد الله باقباله على الله صدقا ، فاقبل الله عليه بالربيبة ، لان العبد قد اقبل عليه بالعبودية ، صدقا ، فهو في ذلك المكان ، يزداد كل يوم ، تهذيبا وتأديبا بما يرد الله ، فجعل الحق له وكيلا ، والحق يستعمله ويتوكل له ، باموره حتى يصير بحال يصلح لله من التهذيب والتطهير والتأديب ، فعندها يقرب اليه الى ما بين يديه ويقبله ، ويرضى عنه ، ويحبه ، ويجعله في قبضته .

(١) اخرجه البخارى «انظر اللؤلؤ والمرجان جـ١ ص ١٩٨»وقال احد الصالحين : خير السلاطين من يختلفون الى العلماء ، وشر العلماء من يختلفون الى السلاطين .
(٢) برح من مكان الى مكان : نزح وانتقل اليه .
(٣) لان الاصل فى العبادات المنع ، والاصل في الامور الاباحة ، وهذا ما انتهي اليه الاصوليون

فاذا برح الى عمل من بين يديه ، فباستعماله ، فمن استعمله ربه متي يسقط وهذا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «ان الله تعالي اذا احب عبدا رضى عنه ، واذا رضى عنه نادى جبريل انى احب فلانا فينادى جبريل فى السموات ألا ان الله احب فلانا فاحبوه»[١] فقال : ما تقرب الى عبدى بمثل أداء فرائضى فإذا تقرب الى بعد ذلك بالنوافل احببته فاذا احببته كنت سمعه وبصره ولسانه ، ويده ورجله وفؤاده فيما ينطق ويبطش ويبصر ويسمع ويعقل .[٢]

(١) اخرجه البخارى فى كتاب بدء الخلق . باب ذكر الملائكة جـ٤ ص ١١١
واخرجه الامام مسلم من كتاب البر والصلة جـ. ١ ص ٦٣
واخرجه الامام مالك فى الموطأ ص ٢.٩
واخرجه الترمذى باب سورة مريم جـ٢ ص ١٩٨

(٢) تقدم هذا الحديث القدسى ويرى بعض العلماء ان المعنى : كنت أسرع اليه قضاء حوائجه من سمعه فى الاستماع ومن عينه فى النظر ، ومن يده فى اللمس ، ومن رجله فى المشى .

فصـــــل : فى الصادقين

واذا سار فى ميدان الصادقين ، اقتضى الصدق ، من نفسه فى كل امر دق او جل ، حتى اذا كثرت عليه محاسبة نفسه ، كبح لجامها ، ونظر الى نفسه قد دلت ، واعطت رقبتها وألقت بيديها مستسلمة خلا عنها ، ورجع الى اعجاب نفسه ، مما يرى من القوة فى ضبطها ، فهو فى هذه الحال أسوأ حالا من حاله فى الاكاذيب ، التى كان يجدها فى نفسه فيقتضى[١] صدقها لانه فى ذلك الوقت ، ذليل منتكس ، وفى هذا الحال معجب ، متكبر قد نقض عرى[٢] كلمة «لا حول ولا قوة الا بالله » باعجابه بقوته ، وضبطه لنفسه ، وذلك الاعجاب فى نفسه خفى فهو يقول بلسانه ، قول المؤمنين :«لا حول ولا قوة الا بالله» او هذا من[٣]من الله على ، فذلك منه علم يعلم أنه من الله ، واثقال المنة لم تأخذ بقلبه حتى يغرق قلبه فيها ، ولا حس ينقل المنة فعجبه بضبطه لنفسه ، وقوة ضبطه فيه متمكن ، علامة ذلك منه أنه مكب على أمور الناس بطرا منافسا[٤] له فى نفسه ، تقصيهم الصدق فى كل امر وهو لم ينلة بعد فإنما ألقت النفس بيديها واعطت رقبتها ، وبذلت مجهودها ، وخف عليها ذلك بحلاوة الايجاب بالضبط ، وشدة القوة .

فهذا مغتر ، ومبتدأ غرور ، حيث طلب الصدق من نفسه وكان صدق طلبه الصدق ، ان ذلك الصدق من الله ، ويلازم نفسه ، بما يعطى من الصدق وينطق بالله فى ملازمته نفسه ، فإن أول ما يعطى الطلب الصدق وحرام الصدق على من يطلب الصدق من نفسة أن يعطى[٥] لانه متملك مقتدر ، وهو مغتـر لا يـدرى ، ويـرى انه صادق وانما الصادق من طلب الصدق من ربه ، ولازم نفسه فى الطلب فلا يزال يدأب[٦] الطلب قولا وفعلا فهو الفرار من الكذب جهده .

من المريدين مغترون ، فهم فى ميدان العارفين ، وهؤلاء قد فتح لهم

(١) فى المخوطة (فيعتصى) وهو تصحيف .
(٢) العرى : جمع عروة وهى التى للقميص .
(٣) من : عطاء وامتنان وتفل .
(٤) فى المخطوطة (فسأله) وهو تحريف سخيف من الناسخ .
(٥) فى الاصل (يعطا) وهى من اخطاء الناسخ ايضا
(٦) يدأب الطلب : يستمر ويجد فيه .

الباب ، وهم أعلى من الأولين لأن اولئك لم يفتح لهم الباب ، فهم أبدا فى طلب الصدق ، وهؤلاء فى ميدان العارفين ، يريدون الوصول إلى الله ، ولذلك سموا مريدين .

لانهم أرادوا الكون بين يديه ، فالصادقون عمال الله عز وجل ، وهؤلاء أولياء الله فهم فى سيرهم إلى الله صادقون ، مالم يقفوا علي درجة ، فقد أمسكوا عن السير لأنهم فى الظاهر يقولون نسير الى الله ، لنصل إليه قلبا وتكون قلوبنا بين يديه ، فاذا وقفوا علي درجة التقوى(١) جال(٢) بصدورهم ذلك ، وعظم فى أعينهم فأقاموا عليها وتعلقت قلوبهم بتلك الحال ، وطابت نفوسهم فهم مع التقوى لا مع الله ، وقد حجبهم حال التقوى عنه ، فلم تحل صدورهم من كبر ، اعجاب وفرح بالحال ، وان دق وان وقفوا على درجة الزهد فكذلك .

وان وقفوا على درجة الصدق فى الأمور ، كذلك فالصادق فى سيره يمر بهذه الدرجات ، ويعطى الصدق من نفسه فى كل درجة يمر بها ، ولا يلتفت ليها لأن بغيته(٣) غير هذا ، وانما بغيته مولاه حتى يصل اليه ، فهذه صفة الصادق من المريدين ، بارك الله له فى سيره وفي مقدمه .

فأما الطبقة الأخرى من المريدين التى ذكرنا أنهم فى ميدان العارفين فقوم طلبوا فى هذا السير الصدق من انفسهم ، ونظروا إلى عيوب النفس فى هذا الطريق فظنوا انهم بسيرهم ينالون الوصول الى الله عز وجل ، فجعلوا السير ثمنا للوصول ، والوصول ثوابا للسير ، كما جعل العمال أعمالهم ثمنا لنعيم الجنة ونعيم الجنة ثوابا لاعمالهم .

فهؤلاء السائرون يسيرون إلى الله تعالى ويقتضون الصدق من انفسهم ، فى السير ، وجعلوا عيوب النفس علمهم وحديثهم ، فبقوا مع هذا الحديث ، ومع الاستقصاء على أنفسهم فى طلب العيوب ، واستخراج مكامنها تكايسا(٤) وتحذلقا فى الكلام ، فوقفوا فى ظلمة الاغترار هذا علمهم ورأس(٥) مالهم ، فلايزالون الشهر ، والدهر ، ينقرون ويبحثون ، عن خدع

---

(١) وردت بالمخطوطة (القوى) وهو تحريف من الناسخ .
(٢) كذا وردت بالاصل .
(٣) البغية : المراد .
(٤) التكايس : اصطناع الكياسه ، عندما لا تكون عالقه بفطرة المغرور .
(٥) وردت بالمخطوطة (وارس) وهى من اقبح ما ورد فى الكتاب من تحريف هذا الناسخ .

النفس فى باب المعرفة ، وفى شأن الوصول الى الله تعالى ، فيقولون هذا عيب وعلمك بهذا العيب عيب ، والتفاتك الى هذا العلم عيب .

كلام مسلسل كأنه من كلام الشياطين يغترون ، ويغرون الناس بأنه نداء دقيق كلام العرفين ، فلو أن انسانا قعد ففكر فى خبث النفس ، ودهاءها ، فلما اطلع على خبث فى مكامنها اتخذه علما وكتبه ، فلا يزال هذا شأنه عمره ، إذا لملأ بيته ، ودنياه ، كتبا وقولا وبقبقة ، وهو فى غرور عظيم .

وقد عجز عن النظر الى منن الله تعالى ، والى اختبار الله ، والى علم تدبيره ، عن علم الله

ذاك علم المنفردين ، والواصلين اليه ، والمتصلين به .

وهذا يريد ان يصل الى الله رجولية واقتدارا ، كأنه يقول : احتاج الى أن أخرج من نفسى كل عيب ، وأتطهر من كل كذب وعيب ، واطلب العيوب من مكامنها ، حتى ألقى الله عز وجل بصدقى ، فاستحق الكون بين يديه .

فهذا لا يكون مضطرا ابدا ، وانه وعد المضطرين فى كتابه فقال: «أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ويجعلكم خلفاء الأرض»(١) فصاحب هذا الذى وصفناه بديا(٢) يريد أن يصل الى الله بما أعطى من القوة والعلم فيبحث عن عيوب النفس فى مكامنها بما دق وخفى ، ثم يجد فى نفسه اعجابه بذلك العلم وهو لا يشعر بذلك فتراه الشهر ، الدهر ، مشغولا به ، طالبا من الخلق ومن نفسه إقامة ذلك ، فإنه صار إلى كلام أهل المنة لم يجد بدا من الانقياد .

ويقول نعم لا يوصل الى الله الا الله ، ثم ينزل هذه الكلمة فيرجع الى غروره ، فهذا باق ابدا فى اوحال(٣) النفس فظلمة الهوى ، فاذا انقطع عن هذا وأيس(٤) من نفسه ، وصار مضطرا ، ولهى عن النظر الى العيوب ، وتعلق بالافتقار نادى به نداء الغربة والفقر فأجيب ، واجتبى ،(٥) وهدى ، وقرب ، ومكن له .

---

(١) النمل (٢٧/٦٢)
(٢) بديا : ابتداء .
(٣) اوحال : جمع وحل .
(٤) أيس ياس وقنط ، وضاق ذرعا .
(٥) اجتبى : اصطفى .

وانما دعا الله تعالى للعباد فى تنزيله دعوتين فقال : «فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم»(١) وقال: «والله يدعوا الى دار السلام»(٢) فهذه دعوة حظ النفس ، والمغفرة ، ودار السلام ، ودعوة أخرى : «يأيها الذين امنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم»(٣) فبالوصول الى الله تعالى يحيى القلب ، والروح ، والنفس ، وعلم أنه يصعب عليهم الاجابة إلا بها ، لان فيها مفارقة الشهوات ومزايلة(٤) الهوى ، ورفض المنى ،فرشى نفوسهم ، رشوة ، كى يخفف عليهم مفارقة ما ذكرناه ، فذكر مننه وأياديه ، واجتبابه ، وامرهم ان يذكروها فقال «لقد من الله على المؤمنين»(٥) وقال :« واذكر وا نعمة الله عليكم»(٦)وقال: «اذكروا الله ذكرا كثيرا »(٧)أى بالائه ، وآياديه ، ومننه .

فهذه رشوة النفوس ليطيب نفوسهم عند الكراهية لأثقال الأمر والنهى ، ومفارقة الشهوات ، فالناس عن منن الله ، وأياديه ، واحسانه ، والناظرون فى ذلك هم على سبيل أدب الله تعالى الذى أدبهم فى تنزيله ، وينظرون الغايات والتأييد من الله ليخرجهم من الظلمات الى النور ، بما داموا على هذا الذكر والنظر فى هذه المنن .

وهؤلاء المغترون بقوامع النظر فى عيوب النفس فلا يزالون يفكرون فى خيانتهما ، وما يعرفون من انفسهم من الجريرة والدهاء ، فيصيرونها علما وكتبا ، يبثون فى الناس مشغله للقلوب ، وقطعا للطريق على المريدين ، وخيانة لحق الله عز وجل .

---

(١) ابراهيم (١٤/١٠)
(٢) يونس (١٠/٢٥)
(٣) الأنفال (٨/٢٤)
(٤) مزايلة الهوى : مفارقته . وفى المثل : «خالطوا الناس وزايلوهم»
(٥) آل عمران (٣/١٦٤)
(٦) البقرة (٢/٢٣١) وآل عمران (٣/١٠٣)
(٧) الاحزاب (٣٣/٤١)

فصل : فى ميدان المتقين

وإذا سار فى ميدان المتقين ، اعتزل الخلق ، وانقبض ، ونظر الى تخليط الخلق ، أعجبه ذلك من نفسه ، وصغر الخلق عنده ، فينظر اليهم بعين الازراء والاحتقار (١) ولمقتهم (٢) على افعالهم ، وانشقت تلك الحرارة ، حرارة الحدة من شره النفس (٣) وحدتها الرحمة لهم ، من قلبه عليهم ، فهو مزر (٤) عليهم مستخف بهم ، وبحقوقهم مكفهر (٥) فى وجوههم ، لا ينطلق لهم وجهه فيرى الخلق فى خلو من ترهيبه ، فهذا مغتر باعجابه بنفسه ، وتعظيمه على خلق الله ، وازراؤه عليهم ، واحتقاره اياهم .

باطن أمره وانقباضه واكفهراره ، وظاهر أمره ، يرى حقوقه على الناس ، ولا يرى حقوقهم على نفسه ، فهذا غرور ، وسوء خلق ، قد غطى غروره ، ولبس عليه (٦) وهو نظر الى مجانبته للخلق وخلائه عنهم ، للتخليط الذى فى ظاهر الناس ، فيحسب نفسه متقيا .

والتقوى حيث أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « لا تقاطعوا لا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا » (٧) ثم قال «الا ان التقوى ها هنا وأشار الى صدره »(٨) فالتقوى طهارة القلب وطهارة الصدر ، مما ذكرنا بديا من الازراء بالخلق ، والاحتقار لهم ، وقلة العطف عليهم ، والاحتباط لاحوالهم ، ومنع النصيحة لهم ، والعون لهم ، على عبوديتهم لله ، وان يحدوهم على الخيرات ، ولا يدعوهم اليها ..

فصاحب التقوى بمنزلة رجل خرج من الحمام ، وقد تطهر من الأدناس (٩) والأوساخ ، ولبس ثيابا بيضاء ، فاذا رأى غبارا أو هاجت رياح توقى على رأسه ، ولحيته ، وثيابه أشد التوقى ، وجانب ذلك الغبار ، فهذا المتقى إذا

---

(١) الازدراء : الاحتقار .
(٢) مقتهم : كرههم وقد وردت فى المخطوطة (ومعتهم) وهو تصحيف من الناسخ .
(٣) شرة النفس : حدتها ، وشدة غضبها وثوراتها .
(٤) مزر عليهم : من الزراية اى عائب عليهم .
(٥) مكفهر : من الاكفهرار وهو الكلوح والعبوس .
(٦) لبس عليه : من التلبيس وهو التمويه .
(٧) لأن التدابر يفصم عرى المودة .
(٨) أى ان التقوى بالقلب .
(٩) الأدناس : القذار والاوساخ .

طهر قلبه ، وصدره ، ثم رأى تخليط الناس ، رحمهم ، وعطف عليهم ، رأفة بهم ، ورقة لهم ، ودعاء وتضرع الى الله ، وبكى حرقة للخلق (١) الذى يرى استهانتهم به …

فتلك الحرقات لا تنشف رحمته ، بل يزداد بها عليهم عطفا ورحمة ، ولا يمقتهم ، ولا يرزى بهم ، ولا يحتقرهم ، ولا يكفهر فى وجوههم ، ولا يمنعهم، حقوقهم الواجبة للمسلم على المسلم ، بل يفرح بطاعته ويحزن بمعاصيه ، ويرثى له اكثر مما يحزن أهل الدنيا على دنياهم ، وفرح به أكثر مما يفرح أهل الدنيا بدنياهم ، وسبب الحرقات التى انشفت الرحمة من قلبه عليهم ، شدة الجبرية ، وسلطان الكبر فى نفسه ، فأدناس الكبر وأوساخ الجبرية قد صيرت نفسه مزبلة من المزابل فيها أنتان ، واقذار من الجور (٢) ، والاستبداد فى أحكام الله وتدبيره فى عباده . والماسور يحب الله تعالى ، قد تخلى (٣) من هذا كله وتطهر فحمله صحة أمره فى كلمة واحدة فما لم يبلغ مناله (٤) فهو فى نقص .

قال له القائل : وما تلك الجملة ؟ قال إن بلغ قلبه من منازل المعرفة منزلة يستوى عنده فعله ، وفعل غيره ، فلو عمل عملا من أمال البرا ، ورأى عبدا من عبيده ، يعمل ذلك العمل ، لكان فرحه بعمله كفرحه بعمل نفسه ، واذا أذنب كان ذنبه وذنب غيره عنده مستوى ، وكان وجده (٥) بذنب غيره ، كوجده بذنب نفسه ،

هذا فى حال واحد لا فى جميع الأحوال

قال له القائل ويكون هذا ؟ قال : يكون هذا . وانما يتعجب من هذا ، ويتحير فيه ، من عبدالله لنفسه ، لا لله فاما من عبد الله لله فهذا صفته .

قال له القائل بما ينال هذا ؟ قال : بحب الله ، هذا عبد قد احب الله حبا ، صار منهوما ، فى طلب محاب الله فليس به نفسه ، ولاية العبودية وانما به أن يعمل شيئا من محاب لله ، وأن يعمل شيئا يفرح الله به ولذلك سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى دعائه فقال : «اللهم انى اسألك التوفيق

(١) بكى حرقة : اى بشدة .
(٢) الجور : الظلم .
(٣) تخلى من الشئ : تبرء منه وتنزه عنه .
(٤) فى المخطوطة (مناث) وهو تحريف خطير من الناسخ
(٥) غير واضحه بالمخطوطة .

لمحابك(١) من الأمور» فلما سأل التوفيق لأن يعمل من أعمال البر ، ما هو أحب اليه ، فى ذلك الوقت ، لطلب محاب الله ، وذلك لغلبة محبة الله على قلبه ، فهذا عبد إذا عمل عملا من أعمال البر ، كان شفاء نفسه ، وبغية قلبه فى اقامة ذلك العمل ، لمحاب الله ، ومسره اليه ، ومخرج اليه

واذا اذنب كان وجد قلبه ، وحرقاته ، من أجل انه خرج منه الى الله ، ما يكره الله ، فهذا العبد من غلبة الحب على قلبه ، به محاب الله ، وما كره الله ، وبه رضى الله ، وسخط الله ، ومم يرضى ، ومم يسخط وما الذى يحب ، وما الذى يكره ، ألا ترى إلى قوله «يايها الناس قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور بإذنه ويهديهم الى صراط مستقيم» (٢) فأخبر فى هذه الأية أن هذا النوال كله ، لمن اتبع رضوانه ، أى فرحه

الا ترى الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حدثنا بذلك ابوالسايب سالم بن جنادة الكوفى ، حدثنا أبو معوية عن الاعمش عن عمارة بن عمير ، وابراهيم التيمى ، عن الاسود ، والحرث بن سويد قال حدثنا عبدالله بن مسعود حديثين احدهما عن نفسه ، والآخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : قال عبدالله «ان المؤمن يرى ذنوبه كأنها من اصل جبل يخاف ان تقع عليه ، وان الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه فقال بيده : فأطاره»(٣) وأشار أبو معويه الى أنفه فطاره ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لله افرح بتوبة أحدكم من رجل خرج بأرض فى دوى(٤) مهلكه ، ومعه راحلته عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه ، فاضلها فخرج فى طلبها حتى اذا ادركه الموت قال ارجع الى مكانى الذى اضللت فيه فأموت فيه فرجع الى مكانه فغلبته عيناه فنام ثم استيقظ فاذا راحلته عند راسه عليها طعامه وشرابه وزاده وما يصلحه» ومن طريق اخر عن غير واحد مثله . وعن وهب بن منبه قال : اوحى الله الى عيسى صلوات الله عليه

(١) محابك : جمع محبه ..
(٢) المائدة (١٥/٥)
(٣) ومعنى الحديث الشريف ان المؤمن دائم الاشفاق على نفسه ، والحدب عليها من ذنوبه ، ولكن الفاجر مستهتر ، لا يأبه بها .
(٤) دوى : يقصد دويه ، وهى الصحراء المترامية الاطراف ، غير المعروفة الابعاد .

«انزلنى من نفسك كهيمك (١) ، واجعل زخرك فى معادك تقرب الى بالنوافل ادنك منى (٢) ، توكل على اكفك ، ولا تولى غيرى فاخذ لك ، اصبر على البلاء وارض بالقضاء وكن كمسرتى فيك ، فإن مسرتى ان اطاع فلا أعصى : وكن منى قريبا ، واحيى ذكرى بلسانك ، وليكن ودى فى قلبك تيقظ لى فى ساعات الغفلة ، واحكم لى لطف الحكمة ، وكن لى داعيا واهيا(٣) وامت قلبك بالخشية ، وراع الليل ، لتجرى مسرتى ، واظمأ نهارك ليوم الرى ، عندى ، نافس فى الخيرات جهدك ، وقم فى الخليقة بعدلي ، واحكم فيها بنصحي ، فقد انزلت عليك شفاء وساوس الصدر ، وجلاء الأبصار من عشاء الأبصار ، لا تكونن جليسا كأنك مقبور وانت حى ، اكحل عينيك بملول (٤) الحزن اذا اضحك البطالون ، واحذر ما هوأت من أمر المعاد ، وشدائد الزلازل والاهوال ، حيث لا ينفع اهل ، ولا ولد ، ولا مال ، ابك على نفسك أيام الحياة بكاء من ودع الأهل وقلى (٥) الدنيا ، وترك اللذات لأهلها من بعده ، واتفعت رغبته فيما عند إلهه ، وكن على ذلك صابرا محتسبا ، طوبى لك ان نالك ما وعدت الصابرين ، ارض من الدنيا يوما فيوما ، وارض من الدنيا بالبلغة (٦) وليكفيك منها الخشن الخشب ، قد رأيت الى ما تصير مكتوب ، عليك ما أخذت ، فأعمل على حساب فإنك مسؤول ، ذق مذاقه ما قد هرب منك أين طعمه وما لم يأتك كيف لذته ؟ لو رأت عيناك ، وما اعددت لعبادى الصالحين اذاب قلبك ولزهقت نفسك . اشتياقا اليه ، فهذه منزلة من منازل المعرفة ، إذا نزلها العبد ، كان فرحه بطاعة الخلق كفرحه بطاعة نفسه ، ووجده بمعصية الخلق ، كوجده بمعصيته فى حال واحد ، لا فى جميع الأحوال ، وذلك اذا لحظ الى الله هاله شأن المعاصى كلها ، ونزل نفسه من ذلك الهول بمنزلة رجل كان فى أودية ، فوقع منها الى البحر ، فاذا وقع فى أهوال امواج البحر لم يذكر فى ذلك الوقت مخاوفى تلك الانهار.

(١) الهيم : الابل شديدة العطش .
(٢) ادنك منى : اقربك منى .
(٣) راهبا : من الرهبة وهى الخوف ، وليست من الرهبانية فتكامل الفرق .
(٤) مملول : مسئوم منه . وقد وردت فى المخطوطة «بملمول» وهو خطأ من الناسخ .
(٥) وردت بالصل (وفلا) وهو تحريف خطير .
(٦) البلغة : هى ما يتبلغ به ، بما يسد الرمق .

وعن كعب : «ان لله عز وجل ملائكة يقول لهم اهبطوا الى الارض فسموا فى وجه كل عبد من عبادى ممن مكن فى صدره ما يرى مما لا يقدر على تغيره حتى اذا نزلت عقوبتى أنجيتهم برحمتى»

وعن عطاء الخراسانى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ياتى على الناس زمان يذوب فيه قلب المؤمن كما يذوب الملح فى الماء فقام اليه رجل فقال يا رسول الله ولم ؟ قال : «يرى المنكر يعمل به ، فلا يستطيع ان ينكره». فصاحب هذه الصفة لا يحتقر الخلق ولا يزرى عليهم ، ولا يمنعهم حقوق الاسلام ، ولكن يجد فى نفسه حرقة ضياع الحقوق ، واذا نظر الى جهدهم والى عجزهم والى استيلاء العدو عليهم ، رحمهم ورثا لهم

فالمغتر اذا سمع بأسير من اسراء المسلمين ، فى أرض العدو رحمه ، وبذل ماله ، ونفسه ، فى تخليصه ولا يرى هذا أنه أسير فى يدى نفسه وعدوه ، فيعرض عنه ويتركه فى أسره ، فهذا من جهله ، بالله وبأموره

ألا ترى الى قولة يا داود إنك ان اتيتنى بعبد أبق (١) كان احب إلى من عبادة الثقلين (٢) وقال «ياداود ان استنقذت هالكا من هلكته ، سميتك عندى جهبذا » (٣) .

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يا على لأن يهدى الله بك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس» فهذا الأسير إذا أنقذه من أيدى العدو، كان ثوابه من الله ما ذكر فى تنزيله ، فقال : «ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا» (٤) فاذا كان أنقاذكم أسيرا من يد العدو هذا ثوابه ، فما ظنك بمن انقذ اسيرا من يدى نفسه وعدوه ، هذا لا يحصى ثوابه فى جنب ذلك .

ولذلك ما روى أنه يؤتى بالمذكر الصادق ، فيقول الله له : مرحبا انت الذى تحببنى الى عبادى ، وتحبب عبادى الى ، توجوه فيتوج بتاج فى كل ركن من أركانه ، من الياقوت والجوهر ، ما يضئ مسيرة أيام ، ثم يقال اذهبوا به الى أولئك الذين كانوا يجالسونه ، فيقال لهم هل تعرفونه فيذهبون به فيقفون على تلك الخلق ، فيقولون هل تعرفون هذا فيقولون : طوبى لمن عرف هذا فيقال لهم : «هذ الذى كنتم تأخذون عنه اذهبوا معه الى الجنة»

(١) العبد الآبق : الهارب من سيده .
(٢) الثقلان : الانس والجان .
(٣) الجهبذ : العظيم .
(٤) المائدة (٥/٣٢)

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «خيار عباد الله الذين يحببون الله الى عباده ، ويحببون العباد الى الله تعالى : » (١)

وما روى انه قال تبارك وتعالى لموسى صلوات الله وسلامه عليه : أحببنى وحببنى الى عبادى ، قال : يارب وكيف أحببك الى عبادك ؟ قال : ذكرهم آلاى ونعمائى(٢) فانهم لا يذكرون منى الا حسنا » فلو ان رجلا سمع بهذا فتكلف (٣) هذا لم يقدر عليه ، بلا رأس مال ، لانه انما يدعوا الى شئ ، وقلبه خال من ذلك فلا تحببه القلوب ، فإنه كاذب فى دعواه .

ومن استقر فى قلبه نور ذلك الشئ ، فدعا الخلق اليه اجابته أنوار توحيد الموحدين من قلوبهم ، لذلك النور الذى دعاهم اليه وأحب الخلق الى الله ، أنصحهم له فى عباده ، وأكثرهم احتمالا لأذى الخلق ، فإنما ذلك بقوة الحب احتملوا ذلك .

وعن أبى هريرة قال : رسول الله صلى الله عليه وسلم :«سيروا سبق المفـردون ، قيـل يا رسول الله وما المفردون ؟ قال : الذين اهتدوا فى ذكر الله ، يأتون يوم القيامة خفافا يضع الذكر عنهم أثقالهم» (٤) . قوله اهتروا أى غلب على قلوبهم ، نور الوصول الى الله ، فى منازل القربة ، على نور عقولهم ، حتى ذكروه بتلك الانوار ، فذاك حقيقة الذكر ، وقوله اهتروا مشتق من التهاتر وهو كلام الرجل بلا عقل ، فهذا غلب على عقله ظلمة الجهل ، حتى تكلم وذلك غلب على عقله نور الله ، فكلاهما مهتر .

وكسرت رباعية (٥) رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد فلما رأى الدم يسيل على لحيته قال : «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم» فعوتب على ذلك ، فأنزل الله عز وجل : « ليس لك من الأمر شئ أو يتوب عليهم أو

(١)اخرجه بنحوه ابن النجار عن ابى هريرة وضعفه السيوطى فى الجامع الصغير (٨/٢)

(٢) نعمائى : من النعمة .

(٣) تكلف : اصطنع الشئ .

(٤) اخرجه الترمذى والحاكم فى مستدركه عن ابى هريرة والطبرانى فى الكبير عن ابى الدرداء انظر : السيوطى فى الجامع الصغير (٣١/٢)

(٥) الرباعية : بوزن الثمانية ، وهى درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وهى ايضا السن التى بين الثنية والناب .

يعذبهم فإنهم ظالمون» (١) فطولب بأن يكون ذلك الذى ناله يدق (٢) عنده ويتلاشى فى جنب حبه له ، وهذا فى جميع عمره صلى الله عليه وسلم مرة واحدة .

وروى عن الضحاك انها كانت تلك كلمة غضب خالطها (٣) حزن ، ولقد وجد فى أصحابه من حملهم حب الله على احتمال أمور كثيرة ألا ترى الى جعفر رضى الله عنه كيف قاتل يوم غزوة مؤتة فروى عن ابن عمر رضى الله عنه انه قال : وجدنا على جعفر بضعا وسبعين مابين (٤) رمية وطعنة وضربة كلها بما اقبل من جسده ثم يقول : اتدرون لم ذاك ؟ لأنه لم يفر .

وما روى عن عبدالله بن جحش انه قال يوم احد : اللهم انى اقسم عليك ان اقتل فى هذا اليوم ثم تبقى بطنى ، ويجدع انفى ، واذنى ، حتى إذا ألقاك يوم القيامة ، قلت لى يا عبدالله فيم هذا ؟ فأقول فيك يارب العالمين» فهل حملهم على مثل هذا ؟ وهل طلبوا هذا ؟ الا من قوة الحب .

وعن مطرف بن عبـدالله انـه قال لعمران بن حصين حين دخل عليه يعوده، وقد كان بقى فى علته ثلاثين سنة على سرير منقوب ، فقال مطرف : لولا أنه يثقل عليك لعدناك أكثر من ذلك ، وذكر شيئا من علمه ، فقال عمران : لا تقل فإن أحبه الى أحبه الى ربى .

فالمحبون هانت عليهم أثقال المكاره (٥) فى جنب الله بقوة الحب ، ومن كل حظه من هذه الخطة العظيمة ، فهو فى جهد من المكاره .

فان للحب حلاوة وللمكاره مرارة ، فاذا ذاقت النفس حلاوة الحب ، حقرت مـرارة المكـاره ، كمن له دواء مرير يلت (٦) بسمن حتى تذهب بشاعته ، وبعسل حتى تذهب مرارته ، فحب الله أحلى وألطف على القلب ، والنفس ، من أن تنزل هناك مرارة الامور ، وبشاعتها فهذا الاغترار كله من النفس ، ومعدن الغرة فيها ، وبالشهوات غرتها واصل الغرور من الهوى ، فالهوى : توله النفس بالشهوات ، التى فيها ، والهوى هو خميرة الشهوات

(١) آل عمران (١٢٨/٣)

(٢) يدق عنده : يتلاشى خطره عنده

(٣) خالطها : امتزج بها .

(٤) وردت بالمخطوطة (من بين) والاصح ما وردناه .

(٥) المكاره : جمع مكروه .

(٦) يلت : يطبخ ويعجن ، ويقال لت السويق .

كخميرة العجين ، فاذا جاء الهوى اهتاجت الشهوات ، لأن الهوى يحيى بأصل الشهوات ، التى حفت النار بها ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : «حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكاره» (١) فذاك الأصل بباب النار ، وفى النفوس مما هناك موضوعه فى كل نفس ، ولذلك أذيقت مرارة الموت من بين الاشياء .

وقال فى تنزيله «كل نفس ذائقة الموت» (٢) ولم يقل كل ذى روح ، ولا كل قلب ، ولا كل بدن ، وانما نسب الذوق الى النفس لانها هى التى تقبل على الهوى ما يجيئ به من الشهوات ، من باب النار من ذلك الاصل حتى يهيج (٣) هذا الذى فيها .

فإذا هاج صرفه الى الله ، وانتظر ثوابه من عنده ، وقبله منه اذعانا (٤) له فذلك شكر العبد لربه رضى الله عنه بذلك ، واذا صرفه عند اهتياجه الى الفرح به ، وطلب نواله تحارص (٥) عليه ، ولهى عن ذكر الله عز وجل ، فقد سمى الهوى قلبه ، وذهب به ، لأن زينة حب الشهوات فى النفس ، قال الله تعالى : «زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين» (٦)ثم ذكر أصناف الشهوات الى قوله «والأنعام والحرث» والزينة فيها فرح ، والحب فيه حلاوة ، فإذا اجتمع فرح الأشياء وحلاوتها ، فى نفس فاهتشت النفس للفرح بها وبحلاوتها ، فصارت شهوة واهتشاشا .

وانما قيل شهوة لهشاشة النفس ، فان لم يكن للقلب من قوة المعرفة بالله ما يصرف ذكره الى الله ، صارت هذه الشهوات وبالا عليه ، وصار القلب سبيا (٧) من سبى النفس ، وصارت النفس مالكة للجسد ، تقوده حيث شاءت.

واذا قوى القلب بالمعرفة بالله ،ملك النفس فأداها الى الله ، والى

(١) حديث متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم ، لكن لفظ البخارى (حجبت) بدل (حفت) فى الموصفين . راجع كشف الخفا (١١٥٢/٤٣٤/١)
(٢) آل عمران (١٨٥/٣)
(٣) كذا بالاصل .
(٤) اذعانا : خضوعا .
(٥) تحارص عليه : اشتد به الحرص عليه واصطفه ولنفسه مثل تهالك عليه .
(٦) آل عمران (١٤/٣)
(٧) سبيا : اسرا ، من السبى وهو الاسر .

شكره ، والقيام بحقه فى تلك الشهوات ، لأنه انما يخلقها له رزقا لعبده ، ويشكره ، وقال فى تنزيله فوصف النعيم ثم قال : «رزقا للعباد» (١) وقال «تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» (٢) .

فالمنيب : من أقبل على الله فى وقت تناولها النعيم ، فاذا أقبل على النعيم ، ولهى عن الله ، فقد ضل وخسر ، وصارت النعمة عليه فتنة ، فاذا لم يجدها افتتن وقال : «وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون» (٣) ثم قال «ما أريد منهم من رزق» (٤) أى ما اريد منهم ان يرزقوا انفسهم . ثم قال «ان الله هو الرزاق» (٥) .

فدلهم على نفسه ، واعلمهم أنه خلقهم ليعبدوه ، فمن لهى عن ذكره ، فى وقت طلب النعيم ، وفى وقت تناولها ، سبى قلبه حلاوة تلك النعمة ، وحبه لها ، والفرح بها ، فصار عبد نفسه ، وعبد ديناره ، ودرهمه .

وعن ابى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «بئس العبد ، عبد بطنه ، عبد فرجه ، عبد همه ، عبد ديناره ، عبد درهمه ، عبد الخميصة ، حبذا عبدالله وعبد الله» (٦) وقال : عبدالخميصة وشيك فلا اتنفس . معناه : ان حب الخميصة وحب الاشياء ، التى يليها ، ويتزين بها ، فحلاوة ذلك الشئ وفرحه ، كالشوك يشوكه فلا تجد له منقاشا ، تستخرج به ذلك الشوك ، فتصير فرحة ثم تصير مرة تنتن عليه الجسد ويتقيح ، وقال بئس العبد عبد فى المبدأ أو المنتهى وبئس العبد عبد سهى ، ولهى ، ونسى المقابر والبلى .

فانما نسيه المقابر والبلى ، ونسيه عن المبدأ من أين ابتدا الله خلقه ، والى أين منتهاه فرحه بما يجد من الدنيا وحبه لها .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الايمان حلو نزه ، فنزهوه» (٧)معناه : ان حلاوة نعم الله ، اذا هاجت من النفس ، فهى دنسة،

(١) ق (١١/٥٠)
(٢) ق (٨/٥٠)
(٣) الذاريات (٥٦/٥١)
(٤) الذاريات (٥٧/٥١)
(٥) الذاريات (٥٨/٥١)
(٦) رواه البخارى فى صحيحه بنحوه عن ابى هريرة .
(٧) اى نزيه من الشرك ، فنزهوه عنه .

لأنها جاءت من باب النار ، ومازجها النفس والهوى ، فدنست ، فإذا خالطت حلاوة الايمان دنسها وغشها ، وظلمتها فعندها يفتقد العبد حلاوة الايمان .

فالكيس عرف هذا المعدن ، وهذا الفعل من النفس ، فحاسبها حتى استخرج مكامن خيانتها ، وعرفها جهلها ، رمى ما أتت به من العلوم الفاسدة فى وجهها .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت» (١) وعن شداد بن أوس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله » . فهذا العبد كاس بحدة عقله ، ومطالعة فهمه وغزارة علمه ، فحاسب نفسه على الدقيق ، والجليل ، واستحنها ، وبلا سوءها ، واستخرج مكامنها ، حتى لم يترك لها وليجة (٢) ولا مكمنا حتى انفردت للخالق كما انفرد القلب للواحد الاحد .

قال ابو عبدالله رحمه الله : فاما ما ذكرنا من المسائل العفنة التى انتشرت على أهل الغرة .

فمن ذلك قوله : ان الوالد مطلق اليد فى مال الولد اذا احتاج ، فالحاجة كلمة مبهمة ، يجد الخادع المغتر الى خدعه سبيلا فيسمى شهوته ونهمته حاجة .

وهذا مال قد ملكه الابن فلا يفسخ ملكه إلاحق لازم ، فان كانت حاجة الاب حقا ، فله ان يتناوله ويفسخ ملك ابنه وان كانت حاجة بنهمته وشهوة ، وما ان وقف عليها غدا عند السؤال بين يدى الله ، وجد فى تناولها بطالا ، فمن أطلق له ذلك ، فالوبال عليه ، وعلى من اغتر بقوله ، لأن فى هذا ان المتناولين للدنيا على ثلاث طبقا .

فمتناول من حرام فهذا عذاب .

ومتناول من حلال على قضاء التهمة والشهوة ، ودرك المنية تلذذا ، فهذا بطال فها هنا حساب وعتب .

ومتناول من حلال على التعبد لله بذلك التناول ، فهو مأجور يوضع تناوله

---

(١) رواه احمد فى مسنده والترمذى ، وابن ماجه والحاكم فى مستدركه عن شداد بن اوس .

(٢) الوليجة : خاصة الرجل وقومه .

فى ميزانه مع سائر الحسنات ، لأنه أراد الله به .

ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا صالح بن عبدالله ، حدثنا ابو الاحوص ، حدثنا يوسف بن اسباط عن رجل عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «ما الذى يعطى من سعة بأعظم أجرا من الذى يقبل وهو محتاج » فانما سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما ، لأن المناول عبدالله ، بتناول تلك العطية ، كما عبدالله تعالى المعطى بعطيته .

فمن تناول من مال ولده شيئا على هذه الجهة عند الحاجة ، فله ان يفصل ذلك ويفسخ ملك ولده .

ومن تناوله لغير حاجة شحا ورغبة فلم يكن له ذلك .

ومن تناوله لحاجة جحامة وتهمة لم يكن له ذلك ايضا .

فالحاجة ما وصفنا بدءا : أن تناوله مع الحاجة محتسبا يبغى وجد الله عز وجل ومرضاته .

ومن ذلك قوله «من قاتل دون ماله فقتل فهو شهيد »(١) فقوله دون ماله كلمة مبهمة وشرط وثيق ، لان المال انما يكون ماله حين يخلص له من الخصوم ويطيب من الريب ، فاذا طاب كسبه ، ولم يخن فيه مسلما ، ولا معاهداً ، ولم يظلم فيه احدا ، وخلصه من الحقوق التى فى المال من حق العيال ، والقرابة ، والجيران ، والمساكين ، واعطاء الزكاة المفروضة فيه ، فذاك مال قد خلص له وطاب ، فهو الآن ماله ، فإذا قاتل دونه فقتل فهو شهيد .

واما اذا غصب ، وخان ، أو كسب خبيثا ، أو كسب طيبا ، وحقوق المال فيه ، فاذا قاتل فانما يقاتل على مال لم يدخل فى حصن الله .

وانما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «حصنوا اموالكم بالزكاة» (٢) وهذا انما قاله فى الحلال والطيب ، واما فى الخبيث ، والمكاسب الوسخة ،

---

(١) رواه احمد والترمذى عن ابن عمر ، ورواه ابو داود والترمذى ، وحسنه ، والنسائى وابن ماجه عن سعيد بن زيد .

(٢) وبقية الحديث : «مم وداووا مرضاكم بالصدقة ، واعدوا للبلاء الدعاء» قال السخاوى فى مقاصده الحسنة : «رواه الطبرانى وابو نعيم والعسكرى والقضاعى عن ابن مسعود مرفوعا» أ هـ .

وقال ابن الفرس : ضعيف لكن ورد له شواهد عند البيهقى والعجلونى (١١٤٨/٤٣٢/١) ولكن البيهقى قال : انها منكر .

فلا حصن له ، وان زكا لم يزك ، لما فيه من الأدناس ، وانما يستوجب الشهادة وثوابها ، لأنه قاتل عن مال الله ، وعن حصن الله ، فهو فى سبيل الله ، لأن ذلك مال ينبغى به اقامة الاسلام ، فإذا قاتل عنه فانما يقاتل عن الاسلام واهله .

حدثنا ابى رحمه الله ، حدثنا ابن الاصبهانى ، حدثنا ابو الاحوص عن سعيد بن مسروق ، عن منذر عن عبدالله بن عمر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : «من أعطى حق ماله ، أو صدقة ماله ، فتعدى عليه . فقاتل فقوتل ثم قتل فهو شهيد ».

فاما من كسب المال تعمشا ، فاجتمعت أوساخه عنده ، فقاتل عنها ، فهو مسؤول عن دمه فيما إهراقه ، فهؤلاء ان تجيب عن هذا السؤال ، يكاد يغرق فى عرقه حياء من ربه ، فكيف يلحظ الى ثواب الشهداء ؟.

ومن ذلك قوله إذا ابرأت المرأة زوجها من صداقها ، برئ الزوج ، فالبراءة فى الحكم فى الظاهر ، غير البراءة من الحق ، تلك البراءة براءة مطالبة فى الدنيا عند حكام الارض ، فاما البراءة (١) عند أحكم الحاكمين ، عند خصومه الحق إياه ، ومطالبته اياه ، بذلك فهو بعيد من هذا .

وذلك ان الله سبحانه ، شرط فى شأن المهر فقال : «وآتو النساء صدقاتهن نحلة» (٢) فأمر بالايتاء والخروج منه الى المرأة ، ثم لما صار الى ذكر البراءة قال : «فان طبن لكم عن شئ منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا» فلم يقل طبن قلبا ، ولكن طبن نفسا ، فما كانت للمرأة فى نفسها كرامة جبر لا كرامة شهوة ، لم يبرأ الزوج عن ذلك فى الأخرة ، وهو مديون عند الله عز وجل .

وذلك أن القلب قد ترضى بذلك والنفس كارهة ، ففى النفس شهوة بقاء المهر ، على الزوج ، وفى القلب براءته رحمة منها على الزوج ، وعطفا عليه، وتوددا اليه ، فلا يزال هذا من القلب ، كأين يورد على النفس ، لما تجد لزوجها ، من العطف والود ، والرحمة ، حتى تطيب النفس بذلك ، وتطاوعه ، فهذه براءة صحيحة ، وعلى الزوج مكافأة ذلك ، والقيام بشكرها ، فإن كان له مال كافأها عن ذلك ، عوضا عما وهبت ، وان لم يكن

(١) وردت بالمخطوطة (البراة) وهو تحريف .
(٢) النساء (٤/٤)

له مال ، دعا لها واثنى عليها ، وزادها من الاحسان اليها فوق ما يلزمه ، وكذلك روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من اذلت اليه يد فى معروف فليكافئ عليها ، فان لم يجد فليثن»

وقال لعائشة رضى الله عنها يوما عند ما ذكر نحوا من هذا ، يا عائشة «هاتى تلك الابيات» قالت عائشة رضى الله عنها ابياتا فيها هذه :

يجزيك أو يثنى عليك من اثنى عليك بما فعلت كمن جزى (١)

فاذا كان القلب ثقيلا عن البراءة ، والنفس كارهة عن ذلك ، وانما فعل لذلك ليتخلص من القال والقيل ، والتوقى من إدخال المكروه .

فالقلب يفعل ذلك باضطرار ، والنفس تأبى ذلك ، فانما يفعل ذلك خوف الهوان ، ومنع الحقوق والغيرة والاعراض والخفاء ، واظهار سوء الخلق والاستهانة بها ، والوحشة فإنما يفعل ذلك مخافة الجور (٢) عليها ، فمثل ذلك ، كمثل رجل سلب مالا ثم قال لا أعطيك حتى تهب لى منه شيا ، فتلك هبة ضرورية فلا يطيب وانما يحل الأموال بطيب النفوس .

وقد شرط الله تعالى فى شأن المهر طيب المهر ، وأحكم شأنه فى أيات كثيرة فقال : «وإن أوتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتاخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض ، وأخذن منكم ميثاقا غليظا» (٣) فالمهر ثمن البضع (٤) وهذا شئ لا يساويه شئ من الأشياء لأن الأشياء توهب بلا ثمن فيملكها ، والفرج لا يملك بالهبة ، ولم يكن هذا لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، خاصة ، فقال : «وامراة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبى إن أراد النبى أن ينكحها خالصة لك من دون المؤمنين» (٥) فبان شأن الفرج سائر الأشياء ، لأن الاشياء كلها تملك بلا عوض ، ولا شهود ، والفرج لا يملك إلا بعوض وشاهدين ، ومن فهم هذا عظم شأنه عنده .

(١) ومن امثال العرب القدامى ما ذكره السابقون عن ذلك انه اذا لم تطل يدك يرد الجميل ، فليطل لسانك بالشكر عليه .
(٢) الجور عليها : الحيف
(٣) النساء (٤/٢١)
(٤) البضع : اصله قطعة اللحم ، والمقصود به الفرج على سبيل الكفاية ، والمباضعة هى المواقعة .
(٥) الاحزاب (٣٣/٥٠)

لأن الله تبارك اسمه اعلم فى تنزيله أن البضع خلق من المرأة للرجال فقال فى تنزيله : « وتذرون ما خلق لكم ربكم من ازواجكم » فالحرة لا تملك رقبتها ، فتكون لك امة ، فلما كانت كذلك ، لم يجز أن تملك ما خلق لك منها إلا بثمن ليكون مباينا عن سائر الاشياء ، حقا لها ومنزلتها . وعن ابى حميد الساعدى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا يحل لامرئ أن يأخذ عطاء أخر الا بطيبة نفسه » .

وذلك من شدة ما حرم من مال المسلم على أخيه المسلم فهؤلاء المغترون يجرون عامة هذه الاحكام على هذا السبيل ، فيقولون إذا أبرى فى الدنيا ، فقد بدى ، وعياذا بالله أن يكون كذلك ، وهذه براءة مضطر ، ورجل مجهود فقد اجهده خصمه ، وماطله ، حتى مل وهرب ، من حقه ملالا ، وتبرما ثم تزعم انه فدبرأه وكذلك قولهم فيما يتعامل الناس به من الزيوف (١) والبهرجه اذا تراضوا به فانما يرى فى الحكم ، فأما اذا لم تطلب نفسه بذلك واخذه على انه عاجز مقهور آيس(٢) عن انصافه ووجود حقه فهذا غير طيب وان ابراه باللسان حتى يطيب نفسه بذلك .

ومن ذلك قولهم فى الرجل يكون بينه وبين أخر تعامل فى انواع التجارات ، فيموه عليه ويستحله من جميع ما جرى بينه وبينه ، فيجعله فى حل وهو يعلم ان له قبله حق يلزمه الخروج منه اليه من دين أو خيانة ، وغش فيركز إلى تحليله ، فهذا غرور ، حتى بين له الامر على كنهه .

فإن شاء بعد ذلك حلله ، وان شاء طالبه ، ألا ترى ما جاء فى قصة داود عليه السلام حيث قال بعد المغفرة التى جاءت من ربه ، يا رب هذا قد غفرت لى ، فكيف لى بخصمى ، فامر . فيما روى فى الخبر . بالنداء لخصمه فأتى صخرة بيت المقدس ، فنادى يا ورياء

فاجابه : لبيك يا نبى الله أخرجتنى من الجنة ، فماذا تريد ؟

قال انى قد أسات الليل فى أمر فهبه لى

قال : قد فعلت ذلك يا نبى الله ، فانصرف وقد ركن إلى ذلك

فقال له جبريل عليه السلام هل ذكرت له ما فعلت

قال : لا

---

(١) الزيوف : جمع زيف وهو الخداع .

(٢) آيس : يائس .

قال : فارجع فبين له كما قال ، فرجع

فناداه : يا ورياء فقال: لبيك يا نبى الله أخرجتنى من الجنة فما تريد ؟

قال انى قد اذنبت اليك ذنبا

قال : الم أهبه لك يا نبى الله

قال : اولا تسلنى ما ذلك الذنب ؟

قال : ما هو يا نبى الله

قال : كذا وكذا فذكر شأن المرأة ، فانقطع الجواب

فقال يا ورياء : الا تجبنى

قال : يانبى الله ما كذا تفعل الانبياء حتى اقف معك بين يدى الله

فاستقبل داود عليه السلام الصراخ والعويل من الرأس حتى قال له فيما روى فى الخبر : «انى استوهبك منه يوم القيامة» فعندها اطمأن ، وقال الآن طابت المغفرة .

فهذا يبين لك أن كل شئ تموه به على صاحبك لا يسخوا لك عند الله وكل شئ لا يطيب به نفس خصمك ، لا يتخلص لك من خصومته ، وقد بقيت هاهنا بقية عظيمة

قال له قائل : وما تلك البقية ؟

قال خصومة الحق باقية ، حتى تأتى رحمة الله ، وعطفه ، وجوده وكرمه.

وعن انس بن مالك ان الله تبارك اسمه لما جمع ليعقوب عليه السلام ، شمله ، وأقر عينه ، خلا ولده أصحاب الذنب ، فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما صنعنا ، وما كان منا الى اخينا يوسف أفيغركم عفوهما هذا فكيف لكم بربكم ؟ فإن الله ان لم يكن عفى عنكم ، لم يعف عنكم عفوهما هذا شيئا ، فاستقام رأيهم على أن اجتمعوا ، ثم أتوا يعقوب ويوسف عليه السلام ، قاعد إلى جنبه ، فقالوا يا أبانا أتيناك (١) فى شئ ، لم نأتك بمثله قط ، ونزل بنا شئ لم ينزل مثله قط حتى تركوا الشيخ .

وكانت الأنبياء عليهم السلام أرحم البرية

قال : يابنى ما لكم ؟

قالوا اتيناك فما كان منا اليك والى أخينا ، وما لقى منا أليس قد غفرتما لنا قال : بلى ، قالوا فكيف لنا من ربنا فان الله إن لم يكن عفى لم يغن(١)

---

(١) وردت بالمخطوطة (اينال) وهو تحريف وتصحيف .

عنا عفوكما شيئا .

قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد ان تدعوا الله فإذا جاءك الوحى من الله بأنه قد عفى عنا صنيعنا قرت عيوننا واطمأنت قلوبنا ، والا فلا قرت عيوننا أبدا ، فقام الشيخ ، واستقبل القبلة ، وقام يوسف صلوات الله عليهم ، خلف ابيه ، وقاموا هم خلفهما اذلة خاشعين ،فدعا لهم هو ويوسف عليهم السلام ، نحوا من عشرين سنة ، كل يوم حتى إذا أخفق القوم وبلغ جهدهم(٢) وظنوا أنه الهلكة ، عاد الله بفضله ، وحمله ، وعفوه .

ونزل جبريل عليه السلام ، عند رأس العشرين الى يعقوب صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل بعثنى إليك أنه قد أجاب دعوتك فى ولدك ، وأنه قد عفى لهم عما صنعوا ،وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة .

قال ابو عبد الله : فهذه الاشياء إنما تدرك بعقول صافية ، وقلوب كيسة فمن كاس ، وعقل ، ودقق النظر ، ابصر .

الا ترى مثال الرجلين اللذين اختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بذلك مهدى بن عامر ، حدثنا الحسن بن حازم الصنعانى ، عن عباد بن كبير ، عن غالب الجذرى ، عن طاوس .

قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى وأنصارى ، فقال المهاجرى : يا رسول الله حقى ثابت ، وما قضانى .

فقال الانصارى : صدق يا رسول الله إن حقه لثابت وما قضيته شيئا

فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأده اليه ، فقال الانصارى اما دعواه فقد أديته اليه ، واما حق معروفه ثابت ، وعلى أن أكافيه

فقال المهاجرى : صدق يا رسول الله ؛

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشتاتا ، إن الرجلين ليستوى عملهما ، وبرهما وصومهما ، وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كابرة فى جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين »

وعن ابى الدرداء ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قيل له يا رسول الله : أرأيت الرجل يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويحج ، ويعتمر ،

(١) فى الاصل وردت (فعن) وهو تحريف وتصحيف معا .

(٢) بلغ جهدهم : بلغ بهم الجهد من التعب وتشوفوا على الياس .

ويتصدق ، ويغزو فى سبيل الله ، ويعود المريض ، ويشيع الجنائز ، ويعين الضعيف ، حتى عد عشر خصال ، فى ميزانه عند الله يوم القيامة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«انما يجزىٔ على عقله»(١) .

وعن انس بن مالك ، قال أثنوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على رجل ، فقالوا خيرا فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : كيف عقله؟ فقالوا يا رسول الله من عبادته وفضله ، ومن خلقه .

فقال كيف عقله ؟ فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر ، وانما يقرب الناس الزيف على قدر عقولهم

حدثنا الجارود وابو طالب الهروى قالا ، حدثنا عبد الحميد بن عبد العزيز ابن ابى رواد ، عن مروان بن سالم ، عن صفوان بن عمرو عن سريح بن عبيد الخضرمى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا بلغت عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه ، وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ ثم قال ابو الدرداء رضى الله عنه ، وذكر له عن رجل من اصحابه شدة عبادته فسأل عن عقله ، قالوا ليس بشئ يا رسول الله

قال : لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون . فهؤلاء المفتونون ، المغترون انما ركنوا الى مثل هذه الاشياء فطيبوا أنفس العامة ولم ينصحوا الله فى دينه .

ومن ذلك الرجل يوصى إلى رجل ، فيكتب فى وصيته أن يتصدق بشئ من ماله مسمى أو فوض إلى الوصى أن يعمل فى ذلك ، برايه ، فيقول للوصى : اعمل برأيك فهو جائز ، فهذه كلمة مبهمة ، فيقال له هذا رأى النفس الشهوانية الميالة الى الهوى ، أو رأى العقل المميز له بين الحق والباطل ، والمزين له الافضل والاحب الى الله

وانما قيل له اعمل رأيك الذى يترأى(٢) لك فى صدرك من العقل لا الذى يترأى فى صدرك من نهمتك وشهوتك ، ووسواسك ، فترى الوصى يقسم تلك الصدقة ، فهوى نفسه فى جيرانه ، وأقاربه ، وأتباعه وأهل علائقه ،

(١) لان العقل هو مناط التكليف ، وكل مالا يخضع للعقل موضوع ، من ثم كان المخبول والمعتوه ، وفاقد العقل فاقد الاهلية وكذلك المتشنج الذى يغيب عنه عقله والطفل الذى لم يبلغ الحلم .

(٢) (يتراءى) وردت بالمخطوطة (يترايا) وهذه قد اعتاد الناسخ كتابتها بهذه الصورة والاصح ما اوردناه .

عنا عفوكما شيئا .

قال : فما تريدون ؟ قالوا : نريد ان تدعوا الله فإذا جاءك الوحى من الله بأنه قد عفى عنا صنيعنا قرت عيوننا واطمأنت قلوبنا ، والا فلا قرت عيـوننا أبـدا ، فقام الشيخ ، واستقبل القبلة ، وقام يوسف صلوات الله عليهم ، خلف ابيه ، وقاموا هم خلفهما اذلة خاشعين ،فدعا لهم هو ويوسف عليهم السـلام ، نحوا من عشرين سنة ، كل يـوم حتى إذا أخفق القوم وبلغ جهدهم(٢) وظنوا أنه الهلكة ، عاد الله بفضله ، وحمله ، وعفوه .

ونزل جبريل عليه السلام ، عند رأس العشرين الى يعقوب صلى الله عليه وسلم : ان الله عز وجل بعثنى إليك أنه قد أجاب دعوتك فى ولدك ، وأنه قد عفى لهم عما صنعوا ،وأنه قد اعتقد مواثيقهم من بعدك على النبوة .

قال ابو عبد الله : فهذه الاشياء إنما تدرك بعقول صافية ، وقلوب كيسة فمن كاس ، وعقل ، ودقق النظر ، ابصر .

الا ترى مثال الرجلين اللذين اختصما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا بذلك مهدى بن عامر ، حدثنا الحسن بن حازم الصنعانى ، عن عباد بن كبير ، عن غالب الجذرى ، عن طاوس .

قال : قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين مهاجرى وأنصارى ، فقال المهاجرى : يا رسول الله حقى ثابت ، وما قضانى .

فقال الانصارى : صدق يا رسول الله إن حقه لثابت وما قضيته شيئا

فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأده اليه ، فقال الانصارى اما دعواه فقد أديته اليه ، واما حق معروفه ثابت ، وعلى أن أكافيه

فقال المهاجرى : صدق يا رسول الله ؛

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «تبارك الله الذى قسم العقل بين عباده أشتاتا ، إن الرجلين ليستوى عملهما ، وبرهما وصومهما ، وصلاتهما ولكنهما يتفاوتان فى العقل كابرة فى جنب احد وما قسم الله لخلقه حظا هو افضل من العقل واليقين»

وعن ابى الدرداء ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انه قيل له يا رسول الله : أرأيت الرجل يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويحج ، ويعتمر ،

---

(١) فى الاصل وردت (فعن) وهو تحريف وتصحيف معا .

(٢) بلغ جهدهم : بلغ بهم الجهد من التعب وتشوفوا على الياس .

ويتصدق ، ويغزو فى سبيل الله ، ويعود المريض ، ويشيع الجنائز ، ويعين الضعيف ، حتى عد عشر خصال ، فى ميزانه عند الله يوم القيامة

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :«انما يجزئ على عقله»(١) .

وعن انس بن مالك ، قال أثنوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، على رجل ، فقالوا خيرا فقال نبى الله صلى الله عليه وسلم : كيف عقله؟ فقالوا يا رسول الله من عبادته وفضله ، ومن خلقه .

فقال كيف عقله ؟ فإن الأحمق يصيب بحمقه أعظم من فجور الفاجر ، وانما يقرب الناس الزيف على قدر عقولهم

حدثنا الجارود وابو طالب الهروى قالا ، حدثنا عبد الحميد بن عبد العزيز ابن ابى رواد ، عن مروان بن سالم ، عن صفوان بن عمرو عن سريح بن عبيد الحضرمى قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذا بلغت عن رجل شدة عبادة سأل عن عقله فإذا قالوا حسن قال أرجوه ، وان قالوا غير ذلك قال لن يبلغ ثم قال ابو الدرداء رضى الله عنه ، وذكر له عن رجل من اصحابه شدة عبادته فسأل عن عقله ، قالوا ليس بشئ يا رسول الله

قال : لن يبلغ صاحبكم حيث تظنون . فهؤلاء المفتونون ، المغترون انما ركنوا الى مثل هذه الاشياء فطيبوا أنفس العامة ولم ينصحوا الله فى دينه .

ومن ذلك الرجل يوصى إلى رجل ، فيكتب فى وصيته أن يتصدق بشئ من ماله مسمى أو فوض إلى الوصى أن يعمل فى ذلك ، برايه ، فيقول للوصى : اعمل برأيك فهو جائز ، فهذه كلمة مبهمة ، فيقال له هذا رأى النفس الشهوانية الميالة الى الهوى ، أو رأى العقل المميز له بين الحق والباطل ، والمزين له الافضل والاحب الى الله

وانما قيل له اعمل رأيك الذى يترأى(٢) لك فى صدرك من العقل لا الذى يترأى فى صدرك من نهمتك وشهوتك ، ووسواسك ، فترى الوصى يقسم تلك الصدقة ، فهوى نفسه فى جيرانه ، وأقاربه ، وأتباعه وأهل علائقه ،

---

(١) لان العقل هو مناط التكليف ، وكل مالا يخضع للعقل موضوع ، من ثم كان المخبول والمعتوه ، وفاقد العقل فاقد الاهلية وكذلك المتشنج الذى يغيب عنه عقله والطفل الذى لم يبلغ الحلم.

(٢) (يتراءى) وردت بالمخطوطة (يترايا) وهذه قد اعتاد الناسخ كتابتها بهذه الصورة والاصح ما اوردناه .

يتبع الأجنبى لعلاقة نفسه ، ومنافع يختبرها غدا ، وقرابة الميت ، وأرحابه ، وجيرانه ، ينظرون من بعيد ، والميت مرتهن بحق صلة الارحام ، وحق الجيران، وحق اهل الحقوق ، مسؤل عنهم ، ومعذب فى قبره .

وهذا يفرقه حيث تهوى نفسه ، وحيث يظن أنه يكتب به منفعة نفسه أو محمدة عبد أدمى مثله .

ويقول له المغتر بهذا العلم العفن ، هذا جائز لانه قد فوض اليك ان تعمل برأيك ، وانما أمره برأيه الذى يشير اليه العقل ويتحرى الصواب ، والعدل ، ويغل الميت من رهانه التى قد اعتقلته بين يدى الله تعالى ، وعن تبعاته ، وعما هو مسؤل عنه ومأخوذ فى الآخرة به ، فإذا هو قد خان الميت ، وضيعه وأهلك نفسه لانه إنما كان ينبغى له أن ينظر إلى قد ضيع الميت من الحقوق ، وألزمته تبعات تلك الحقوق ، ليسد ذلك الخلل ، ويفكه عن تلك التبعات ، ثم ينظر إلى الأولى ، والأحق ، والاقرب ، إلى الميت فيصله وكذلك فى كل شئ مما وراء ذلك من أعمال البر ، ينظر إلى كل شئ أو فرحظا للميت ، فتجد له منه زادا .

وإذا مال الى هوى نفسه ، فهومأخوذ به غدا لانه خيانة ولذلك قال ابويوسف من دخل فى وصية مرة ، فرأى ما فيها ثم عاد لمثلها مرة أخرى ، فهو خائن ، لان انقاذ الوصية على هذا السبيل . وكذلك دراهم الحج ، تسخوا نفس هذا الحاج أن يقال له قد وسع عليك الميت ، أن تعمل فيه برأيك فهو مسئول عنه غدا

وفى كل درهم أين أنفقه ، وأن أنفقه فى شهوة نفسه ليقضى نهمته فقد خان الميت ، وأهلك نفسه ، وإن أنفقه على نفسه ابتغاء وجه الله وان ادخر فيه شيئا وضيق على نفسه كى يحصل من شئ ، أو اشترى منها هدايا ، فهذه سرقة ، وكل درهم لا يقع فى الميزان غدا فقد خان الميت عن ذلك الدرهم وعن منفعته والحاج خائن للميت فى ذلك ليس للميت من ثواب الا مقدار الأذى .

وبلغنا عن مجمع الحائل وكان مبلغ من أمره أن سفيان كان يأتيه زائرا وكان خدنا (١) له ، فقال له ذات يوم يا مجمع اما حججت ؟ قال : لا فحدث سفيان فى نفسه ، أن هذا رجل من صدقه وعلمه بالله ، وانه لم يحج فبلغنا

(١) خدنا : خليلا وصديقا .

انه حمل اليه دراهم فقال له تحج بهذا . فقال له سفيان كان ظنى بك وبعملك أكثر من هذا الم تعلم انه لم يلزمنى فريضة الحج ولا اسأل عنه فإذا قبلت هذه وحججت ، سئلت يوم القيامة هل حججت كما فرضنا عليك ؟ او هل أديت الفريضة .

فتقاصرت إلى سفيان نفسه فهكذا علم الاكياس ومحاسبتهم أنفسهم ، والمغتر فى عمى عن هذه ، لغلبة شهوة نفسه ، فى الاعمال وطلب قضاء نهماته .

فصل : فى الاحتيال فى ابطال الشفعة

والاحتيال فى ابطال الحقوق التى يخاف لزمها اياه ، وقد اقام الله تعالى فى تنزيله حرمة الجار وندب (١) العباد الى ذلك فى ايات من التنزيل فقال : «والجار ذى القربى والجار الجنب» (٢)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت انه سيورثه» (٣) فصار له حق ولحقه من السلطان ، ما يفسخ الحاكم ملك المشترى فيما اشترى كى يباع الدار فى جواره ممن لا يؤديه بظلم وعدوان.

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «أيما قوم كانت بينهم رباع ، أودار فاراد أحدهم أن يبيع فليعرض على اصحابه فهم احق به بالثمن(٤)

وعن جابر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال : «من كانت له ارض فلا يبيعها حتى يعرضها على شريكه» ، فذهب هذا المغتر فنصب له حيلة من طريق العلم مخاتلة وتمويه ان تشترى جزءا من اجزاءاها باكثر من(٥) الثمن الذى سمى حتى يسير شريكا ثم تشترى الأجزاء الباقية ، بشئ قليل ، حتى يعجز الشريك الأخر عن ذلك الثمن ، الذى أدى فى الجزء الاول ، ويكون جارا ، فيكون هذا الشريك مستحقا لأخذه دون الجار فهذه حيلة(٦)

(١) ندب الى الامر : دعا اليه .

(٢) النساء (٣٦/٤) الجار الجنب هو الغريب مسلما كان أو مشركا ، يهوديا كان أو نصرانيا ، ليكون ذلك وصية بجميع انواع الجيران وهذا هو ما انتهى اليه الطبرى فى جامع البيان (٢٣٩/٨)

(٣) رواه احمد فى مسنده ، والبخارى ومسلم فى الصحيحين وابو داود والترمذى عن ابن عمر كما رواه الاربعة واحمد في المسند عن عائشة وصححه السيوطى (١٤٦/٢) وقد ذكره الشيبانى فى التمييز ص ١٤٢ .

(٤) لان الجار احق بالشفعة

(٥) «من» ساقطة من الاصل .

(٦) وردت بالمخطوطة (فهذا) وهو تحريف خطير .

اصحاب السبت الذين قيل لهم «كونوا قردة خاسئين»(١) حيث نهوا عن العمل يوم السبت فهبوا قبل يوم السبت ، حظائر على الساحل ، حتى جاءت الحيتان يوم السبت ، فدخلوا الحظائر ، فسدوا الحظائر ، وقالوا انما نهينا عن السبت ، وليس هذا باططياد ، فمسخوا قردة بما خادعوا الله .

قال الله تعالى «فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين» (٢) ليتعظ المتقون من أمة محمد صلى الله عليه وسلم عن مثل هذه المخادعة .

(١) البقرة (٦٥/٢)

(٢) البقرة (٦٦/٢) قيل لما بين يديها من القرى وما خلفها ليتغظوا بها ، وقال بعض المفسرين : يقال لما بين يديها من ذنوب اهلها ، وما خلفها : من صيدهم الحيتان فى السبت ، وهذا ما قاله قتاده .

راجع جامع البيان للطبرى (١٧٨/٢)

فصـل : فى الأشـربـة

ومن ذلك هذه الأشربة الخبيثة التى انما حرمت لذهاب العقول ، وسكر الصدور ، وشره النفس وظهور الفساد ، فى الارض ، فذهب هذا المغتر فعمد الى عصير فطبخه حتى إذا بلغ مبلغا من الطبخ غلظ عليه ، وذهبت شدته ، نبذ عليه الماء حتى رق ، بعد أن كان غليظا ، حتى عاد يشربه ، ثم غلاه غلية ، وقال قد طبخناه على الثلثين وانتهينا الى الحد المحمود

وهذا نبيذ ، وانما يسكر كثيره ، ولا يشرب منه الابمقدار ، لا يسكر وانما حرمت الخمر ، والخمر هو نى ، وهذا طبيخ ، فتراهم سكارى ، مع الهذيان ، بوالين فى السكك (١) يتلوثون فى القيئ ، يقولون ليس هذا بمسكر ، ويرون احاديث اكاذيب ، كلها من طريق المفتونين ، فيرون عن الكلبى ، عن ابى صالح ، عن ابن عباس «ان الشربة التى تسكرك هى حرام» . وقد روى عن ابن عباس رضى الله عنه ومجاهد ، وطاووس وعطاء «ان قليله وكثيره حرام» فقد تتابعت الرواة عن ابن عباس رضى الله عنه بهذا ، ويروون عن ابن عمر رضى الله عنه «أنه سقانى شربة ما كدت اهتدى الى رحلى ، وما كدت أبصر أذنى راحلتي » ، وروى نافع عن ابن عمر أنه قال : «كل مسكر حرام وكل خمر حرام» فكل مسكر واقع على الأشربة كلها من أى جنس كان .

ومن ذلك قبول الهدايا فى وقت التوسط بين الناس والتحاكم اليه ويقول : هذه هدية ، ولاينظر الى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حيث قال لذلك الرجل : افلا جلس فى بيت أمه وابيه حتى ينظر اتاتيه هدية «فكذلك هذا المتوسط ، ينظر هل كان يهدى اليه قبل هذا والا ، فلا يخادع الله الاترى إلى ابى بن كعب رضى الله عنه قال : يارسول الله إنى رجل أقرىء فلانا فى بيته القرأن ، وأنه يضع لى طعاما فأكله ، قال إن كان وضع لك قبل ذلك ومثله فكل والا فلا .

ومن ذلك انهم عمدوا الى نوع من العلم ، فقطعوا اعمارهم فى الاقبال عليه ، والمناظرة وتركوا ماهو أولى بهم ،وذلك أن العلم ثلاث انواع

نوع منه علم الله وعلم اسمائه .

والنوع الثانى : علم التدبير

والثالث : علم امره ونهيه

---

(١) وردت بالمخطوطة (الاسكة) وهو تحريف قبيح من الناسخ والصحيح ما اوردناه .

فاقبلوا على علم الامر والنهى ، مقايسة ، ومفاتشة ومشاكلة فتعممت اراؤهم فيه حتى قطعوا أعمارهم فيه فقال لهم هل شفاء النفوس لهذا الامر والنهى الايعلم الله وعلم تدبيره أولا ترى ان جميع الامر والنهى فى تنزيل الله كم هوناسخه ومنسوخه ، فأما عامة ذلك ، فهى مواعظ وبناء تدبير الله عزوجل فى الاولين، وعلم الملكوت ذلك ، ليعلم أن حاجة العباد إلى ملك العباد ، تنقاد نفوسهم لأمر الله ونهيه، وهذه مسألة قد كتبناها على حدتها بينا فيها وشرحنا هذه الانواع الثلاثة .

ومن ذلك أنهم عمدوا إلى مشاهدة الأشياء فسموها قباسا حتي حرفوا الأمور عن جهاتها ، فقالوا : إن رجلا افتتح الصلاة بغير التكبير اجزأه اذا ذكر اسما من اسمائه ، أو صفة من صفاته

فقـال : الله أجـل واللـه أعـظم فهذا كـله جائز ، وشبهوه بالذبيحة والاحرام ، وزعموا ان هذا قياس فقد بان ما بينهما بونا بعيدا وليس هذا بقياس ، وانما هذه مشاكلة ، والقياس أن يرد الشئ إلى أصله .

من ذلك أن الكبر لله فإذا ترك العبد أمر الله فقد ظهر أن فى نفسه كبرا من أجـل ذلك ، تـرك امر الله لتكبره ، وذلك قوله «إلا ابليس أبى واستكبر» (١) وانما ابى أمر الله من كبر النفس ، وقيل إنهم كانوا «إذا قيل لهم لا اله الا الله يستكبرون» . (٢)

وقال رسـول الله صلى الله عليـه وسلم : «الكبر ان تسفه الحق وتقمص(٣) الناس ولا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر ، فقالوا يا رسـول الله فإن احدنا يحب الجمال ، فنلبس ونركب افمن الكبر ذلك ؟

قال: لا لأن الله جميل يحب الجمال ، ولكن الكبر أن تسفه الحق وتقمص الناس اى يحقرهم» ويترك حق الله ويستهين به فى جنب هوى نفسك ، فأمر المصلى ان ينتصب لله قائما ، كهيئة العبيد مع الذلة ، والخضوع ، والاستسلام لله

---

(١) البقرة (٢/٣٤)

(٢) الصافات (٣٧/٣٥)

(٣) اى تقمط : والقمص والقمط هو البطر والاشر وتحقير الناس ، وغمط الناس ، وغمصهم : ازدرى عليهم .

ويقول الله اكبر ، فينسب الكبر الى الله ، ويتبرأ منه ، فإذا قال الله اعظم أو الله أجل ، فقد قال حقا ، ولكن قاله فى غير موضع ، بمنزلة رجل صلى فى غير وقته .

فالصلاة حق ، وهى فى غير وقتها غير جائزة بمنزلة رجل أذنب فقال : الحمد لله ، فهى كلمة حق ولكن هذا موضع استغفار ، فإذا وضع مكانه حمدا لم يقبل منه التوبة .

فكذلك هذا انما وضعت الصلاة تكفيرا لخطاياه ، وسيئاته ، وذلك قوله «ان الحسنات يذهبن السيئات»(١) فانما جاءت الحسنات من قبيل الكبر الذى فى نفسه ، فابداه بالجوارح ، حتى صارت سيئات (٢) فأمر عند القيام فى مقام الاعتذار والتوبة أن يسلم الكبر ، والعز ، والجلال ، لافتراق المعانى ، وانما يصيرها شيئا واحدا هؤلاء البهم الغتم ، الذى انتحلوا الحرية تلقفا من أفواه الناس ، ولم يطلعوا مطلع تأليف الحروف ، حسبوا أن هذه اللغات من تلقاء النفوس ، جرافا ، فيصيروا حكمة الله ، هجنة وحرافا لغباوة فهامهم .

وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : «مفتاح الصلاة الطهور وتحريمها التكبير» فإذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحريمها التكبير ، لم يكن محرما بغير التكبير ، فإن قال قائل : فقد قال وتحليلها التسليم ، فما قولك ، فيمن تكلم فى أخر صلاته فى وقت التسليم بشئ غير التسليم ، هل يكون ذلك تحليلا ؟؟

قيل له انما التحريم ، بالتكبير ، والتحليل بالتسليم ، كما قال رسول الله صلى الله عيه وسلم . ولكن ذلك الكلام منه قطع للصلاة ، فلو كان هذا الكلام منه فى وقت قد بقى عليه شئ من صلاته ، لكان أفسد ولكن لما لم يبق عليه شئ فجاء بالكلام مكان التسليم ، كان ذلك قطعا لصلاته وخروجا منها ، وقد جازت صلاته لأنه لم يبق عليه من صلاته شئ إلا بما يخرج به صلاته ، والافتتاح هو دخول واحرام بها فلا يكون داخلا ولا محرما الا بما أشار اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسماه تحريما .

فأما المسألة التى ذكرنا أنا كتبناها على حديثنا فإنا سنذكرها الآن ، فالعلم عندنا ثلاثة انواع :

نوع منها الحلال والحرام .

(١) سورة هود : الآية (١١٤)

(٢) وردت بالاصل (سيات) وهو تحريف .

ونوع ثانى الحكمة .

ونوع ثالث : علم المعرفة وهى الحكمة العليا ، وما وراء ذلك فهو محجوب عن الخلق يحقق ذلك ما روى عن أبى جحيفة (١) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «يأبا جحيفة سائل العلماء وخالل الحكماء ، وجالس الكبراء» قال ابو عبد الله رحمة الله فالعلماء ، بالحلال والحرام يسلكون بك فى طريق الشريعة إلى الجنة

والعلماء بالحكمة يسلكون على طريق الاخلاص فى الشريعة الى منازل القربة

والكبراء هم العلماء بعلم المعرفة ، والحكمة العلماء يسلكون بك على طريق الصفاء ، والنزهة الى الله ، فبمسائلة العلماء يعلم الحلال من الحرام ، وبمخاللة الحكماء يغضون اليك أسرار الحكمة حتى يخلص فى العبودية له ، فتصير عبدا مقربا قد ابتغيت اليه الوسيلة ، كما دلك عليه فى تنزيله فقال : «يأيها الذين امنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله» (٢) اى جاهدوا النفس فى سبيله حتى تخلصوا فإن النفس تخلط عليك بشهواتها ، وامانيها ، وخدعها ، عبودتك لربك ، فبالتقوى والمجاهدة فى سبيل التقوى تصل الى الوسيلة وهى منازل القربة .

وبمجالسة الكبراء يموت كل داء دفين .

وذلك ان النفس ترابية ، شهوانية ، فلما اعطيت سلطان السخرة فى الارض تكبرت وتجبرت واقبلت على انقاذ مشيئاتها ومناها ، معرضة عن حق الله لاهية عن مشيئات الله فيه وتدبيره ، واحكامه ، عليه فأى داء ادوى(٣) من هذا فالكبراء صدقوا الله فى رياضاتهم أنفسهم ورموا بها إلى الله تعالى فرحمهم ، وقبلهم فاوصلهم إلى منازل القربة ، ثم رفعهم الى المراتب ، فى مجالس النجوى ، فبنور كبريائه ، وصلوا الى حقيقة التواضع لعظمته فتكبروا بالله ، واعتزوا بنور عزه .

فهم الكبراء كبرهم بما نالوا من الكبرياء ، فمن جالسهم عمل فيه قوة ما اعطوا من الهبة والجلال ، والانوار ، التى عنها مكبرون ، فصفاه ونزهه

(١) وردت بالمخطوطة (صحيفة) وهى تصحيف .

(٢) المائدة (٥/٣٥)

وقال تعالى ايضا (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة) الاسراء (٥٧/١٧)

(٣) وردت بالمخطوطة (دا ادوا) وهو تحريف من الناسخ .

فالكبراء ، عن الله ينطقون بجلاله ، وعظمته ، وبحمده ، وسلطانه ، وكبريائه ، وعزه ، وبه ، والربوبية واظهار الملك ، لا يتحمل ذلك عنهم ، الا من سبق له من الله عز وجل بريد أن يحققه بهم .

فهو الذى يدرك ذلك العلم بعقله ، ويلتذ بسماعه ، وتتنعم روحه ، بما يلاقى من تلك الحكمة على لسان الكبراء ، والحكماء عن تدبير الله ينطقون، كيف دبر شأن الادميين ،وكيف ركبهم ، ومن أين استخرجهم وابن وضعهم ، الى اين دعاهم فينشرون منن الله عز وجل عليهم ، وسبوغ نعم الله عليهم ، ويصفون تركيب أجسادهم ، ومكامن العدو منها وسلطان الشهوات فيها ، ويميزون عمل القلوب ، وعمل النفوس ، وخدع النفس ، وخدع العدو ، فإن للنفس وسواسا (١) يدق فى جنبه وسواس العدو . ويصفون شأن الدارين وكيف وضعنا ، ولماذا انقسام هذه الدار على هذه الأخرة ، ويصفون طريق أهل الارادة ، ويعرفون المريدين مكامن خمر لافساد العطايا قولا وهداية(٢)

فإن التقوى هذا الطريق أصعب وادق واغمض ، وأعظم مؤونة من التقوى فى طريق الشريعة

لأن طريق الشريعة على الجوارح ، وهذا الطريق بالقلوب ، وممرها على النفوس ، فيحتاج إلى ان يسلك بعمل القلب على شهوات بالحراسة العظيمة، والاستعانة بالله ، حتى يسلم ذلك العمل ، الذى نهض من القلب من أفة النفس فتخرج من الصدر الى الجوارح ، تدبيرا سليما ليصعد إلى الله عز وجل ، سليما من آفاتها وسلم القلب بعد سلامة العمل من التعلق به ، فكذلك شأن الحكماء يشيرون إلى سلامة القلب من العمل السليم حتى لا يلتفت إليه فيتخذه عدة ، دون الله فإنه متى تعلق قلبه بشئ من العمل صار حجابا لقلبه عن الله والعلماء بالحلال والحرام على خطر عظيم فهم صنفان .

صنف مؤدون للاخبار ليس عندهم وراء هذا شئ من قوة الاستنباط ولا يجوز له النيل بشئ منه دون الفقه فيه ، ولا الفتيا للخلق بذلك لان من الحديث ناسخا ومنسوخا وخاصا ، وعاما ، ومنه ماله تأويل عظيم ، ومنه ما يثبت ، ومنه مالا يثبت

ولكنه قد دخل فيه رواة السوء أهل كماد الدين ، فرووا اكاذيب ، فهم

(١) وردت بالمخطوطة (وسواس) وهو تحريف وخطأ نحوى .
(٢) وقد وردت بالاصل (مولا) وهى تصحيف .

على خطر عظيم من أدابه لانه يجرى مجرى الشهادة ، وقد شرط الله سبحانه فى الشهادة فقال : «ممن ترضون من الشهداء» (١)

فأخبار الرسول صلى الله عليه وسلم فى الدين من غير أهل الرضى بقبول ، فإن أدوا عن المرضيين وهم العدول ، فليس عندهم تمييز الخاص من العام ، والناسخ من المنسوخ ولا فهم معانى اللغة ، ومن جهل هذا من الأخبار كان بالتنزيل أجهل ، فهؤلاء سمات العلم عليهم وليسوا من العلماء ولكنهم حملة نقالون الى من بعدهم من القرون ، فقد لزمهم اسم العلماء عند العلماء العامة بما انتحلوه .

والصنف الآخر تفقهوا فيه ، وتدبروا وطلبوا معانيه ، وتعرفوا ناسخه من منسوخه ، وتفقدوا ألفاظه لتباين المعانى فربما تغير المعنى بحرف واحد حتى قروا على الاستنباط ، ومقاييس الفروع على الأصول ، وقد سبق لهم الاذن من التنزيل وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم فى اجتهاد الرأى فى الحكم بين العباد فى نوازلهم ، ونواهيهم ، فاما التنزيل ، فلما ذكر فى جزاء العبد فقال «يحكم به فى ذوى عدل منكم » ، وما اشبهه ، فاما ما فى سنن الرسول صلى الله عليه وسلم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ان الحاكم اذا اجتهد فأصاب فله عشر حسنات وان اخطأ ، فحسنه واحدة»

وانما كتب له حسنة مع خطئه ما عند الله لأنه قد اتى ما امر به من الاجتهاد ، فلم يصب ماعند الله من الصواب ، ولو كان عند الحاكم فى ذلك علم من التنزيل ، وسنه منصوصة ، ما احتاج الى صواب الراى فى ذلك

ولما وجد من الصحابة والتابعين اختلاف فى شئ من الاحكام

ولما اختلف ابو بكر وعمر وعلى وزيد رضي الله عنهم فى قسمة المواريث

ولما كان عمر رضى الله عنه ، محتاج إلى أن يجمع البدريين فيما يعترض له من الحكم فى الفروج ، والدماء والاموال منها : بيع أمهات الاولاد ، وبيع المدبر والطلاق ، والعتاق ، والنكاح ، وغير ذلك

فهذان الصنفان على خطر عظيم من أمرهم لأنهم لايقدرون ان يرجعوا منها لأى اليقين فابتلى هؤلاء باجتهاد الرأى ، وهؤلاء بالأداء فاحتاج أهل الاداء إلى الصدق والتحرى فيه وبالتثبت للرواه النقلة ، والتجنب لاستبدال الالفاظ

(١) البقرة (٢/٢٨٢)

التى تغير المعانى ، ويحتاج اهل الاستنباط ، والاجتهاد فى الراى الى قلب زكى مشحوذ (١) بنور الله ونفس صافية من كدورة(٢) الاخلاق عفيفة من ادناس شهوات الدنيا حتى يدرك الحق ، ويسلم من الدخول بين الله سبحانه وبين عباده ، فان من يصدر عن فتياه إنما يعبد ربه بما يفتيه فكأين أن يقول له يوم القيامة من أين قلت هذا حتى عبدنى به عبادى ، ولذلك قال سفيان الثورى رحمه الله وددت أن يدى انقلعت من المنكب وانى لم اطلب هذا العلم ، فهذا من الهول الذى ركبه من الفتيا ، لا لانه يتمنى الجهل ، ولذلك قال خلف بن ايوب وددت انى مرضت مرضاً ينسينى العلم ، فهذا فرار من الفتيا لا انه يتمنى الجهل وآثره .

وقال عبد الرحمن بن ابىْ ليلى : ادركت فى هذا المسجد مائه وعشرين رجلا ، مامنهم أحد الإودأن أخاه كفاه الفتيا .

وقال ابراهيم النخعى : وددت انى نجوت من هذا كفافا لا اجرولاوزر على فيه (٣)وأما أهل الاداء فقد جرى فيهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار »(٤)وقال فى حديث اخر «ماحدثتم عنى فلم يوافق كتاب الله عز وجل فليس منى »(٥)وقال «رحم الله امرا سمع منى مقالا فأداه كما سمع فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه الى من هو اوعى له»(٦) فكيف يجوز بعد وصفنا لهذين الصنفين السرور بما فيه والتبجج فى ذلك ، ومرجع أمرهما إلا أنهما يودان يوم القيامة ، انهم كانوا عجما عن ذلك

هذا لمن صححت ارادته ، واستقامت به نيته ، يود ان بنجواً منه كفاف أو يود انه لم يكن فى الدنيا ، خالص فى شئ منه لهول السؤال ، والوقوف عليه ، والتحير فيها ، فما ظنك بمن استدعى هذا الباب ، وطلبه ليظفر برياسة نفر هؤلاء الغتم العجم ، البهم ، تعززا بهم وتكثروا بسوادهم ،

(١) مشحوذ بنور الله : مجلو به .

(٢) يقصد من كدر اى رفق ووسخ .

(٣)من شدة الخوف من الله سبحانه وتعالى .

(٤) متفق عليه ، رواه البخارى ومسلم عن على رضى الله عنه .

(٥) لان سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم مبينة وموضحة وشارحه لكتاب الله سبحانه وتعالى ، وهى ايضا مقيدة لمطلقه ، ومخصصة لعامه ، ولا يمكن ان تتعارض السنة الصحيحة مع نص الكتاب القاطع .

(٦) رواه بنحوه ، بطرق كثيرة اصحاب السنن وغيرهم عن ابن مسعود رضى الله عنه .

وتاكلا لحطام دنيا عافها (١) أنبياء الله تعالى واصفياؤه (٢)

احدهم تبكى نفسه على فوت رياسة على جاره ، فكيف فى كورته ، ويصرخ عويلا على ذلة تناله من أهل الدنيا حتى يكاد ينسلخ من دينة لطلب نوال من جاه أو عرض ، فهذه أفاعى وعقارب ، لها أنياب تأكل صاحبها أكلا فاستعذنا بالله من شر ماهم فيه ، قال له قائل : وما ذلك الشر قال : ان يتكلم أشراوبطرا (٣)وطلبا لرياسة يوم ألاترى انه لايصبر حتى يأتيه ، وكيف ينصب الفخوخ (٤) لاصطياد من يحتوشه (٥) وكيف يقلق لمن دونه فى السن ، فهو كماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « من تعلم العلم ليباهى به العلماء وتمادى السفهاء لم يرح رائحة الجنه وان ريحها يوجد من مسيرة خمسمائة عام . »

فاذا تعلم تزين عند الخلق بذلك وباهى به ، واذا ناظر عليه مارى فيه ، وجادل الأشكال ، وناطح الاضداد ، يطلب بذلك جاهاً ، ومنزلة فى قلوبهم ، يجب أن يبدى نفسه ، وما عنده فى كل موطن ، كان يعرف بذلك وان يكرم عليه ، ويعظم ، واذا صار الى العمل به ضيعه بطلب الرياسة قبل وقتها ، وتاه وتعظم واتخذ العباد خولا ، فهو من ناحية يتعظم ويتكبر ، ومن ناحية يتملق ، ويتبصبص كى يسبى قلوبهم ، ويحتسبهم على رياسته فاذا عمل رأيا ، واذا صار الى مواطن الحق داهن ، واذا ألقى الصادقين انقبض ، وثقل واذا لقى المخلطين انبسط وخف دنوه ممن دنا منه خداع وخلابة ، ونأيه ممن نأى (٦)عنه . تيه وعظمة ، أذنه مصيخة (٧) الى ما يقول الخلق فيه واعية شاخصة الى من يرفع رأسه اليه لاهيا (٨)عن مبتدئه (٩)ساهيا (١٠)عن منتهاه الا يعلم أن مبتداه التراب ومنتهاه التراب الا يعلم ان مبتداه ماء مهين

(١) عافها : سئمها وكرهها .

(٢) وردت بالمخطوطة (اصفياه) وهو تحريف .

(٣) الاشر والبطر : غمط الناس .

(٤) الفخوخ : جمع فخ ، وهو ما يصطاد به .

(٥) يحتوشه : يطبق عليه ليصيده .

(٦) نأى عنه : بعد عنه .

(٧) مصيخة : مصيفه .

(٨) وردت بالاصل (لاهى) والصحيح ما اوردناه .

(٩) فى المخطوطة مبتداه .

(١٠) بالاصل (ساهى) وهو خطأ نحوى (تحريف)

ومنتهاه جيفة ملقاة .

الا يعلم ان مبتداه موقف الميثاق ومنتهاه موقف العرض ، وهو مسئول عن حركاته فيما بين الموقفين ، مقدار كونه فى الدنيا من لدن جرت عليه الاقلام ، الى ان قبض عن الدنيا ، فهو مكب علي أحوال نفسه ، معرض عن تدبير الله بطلب ما ليس له ، ويضطرب عند حكمه عليه ، حتى يود به ذلك الى خراب قلبه الى ان يخلع العذار [١]والعنان ، ويرتع فى مراتع العدو حتى يستوجب النار فتفقد هذا من أهل زمانك تجد هذا فيهم ظاهرا فلذلك ذلوا وصاروا عند العامة متهمين بخلوا بالاعمال الظاهرة على الجوارح عند العامة ، ورضوا فيما بينهم وبين ربهم ان يكونوا فى اخلاق الشياطين فى الباطن .

وذلك مثل الغش ، والغل ، والحقد ، والحسد ، وطلب العلو ، وطلب المنزلة ، عند الناس وحب الجاه ، والفرح بالحياة ، وحب الثناء ، وحب المحمدة ، وخوف الفقر ، وقلة الامن فى الرزق ، وسخط المقدور ، والانفة من الفقر ، والكبر والغضب ، وحب الرياسة ، والعداوة والبغضاء ، والطمع ، والرغبة ، والرهبة ، والحرص ، والشح و البخل ، والتعظيم للاغنياء من اجل غناهم ، والاستعانة بالفقراء من أجل فقرهم ، والبذخ ، والاشر ، والبطر ، والتحبب الى الناس ، بما يحب الله.

فاذا خلا بما يكره الله ، جمع الدنيا للفخر ، والتكاثر ، والخيلاء ، والتنافس فى الدنيا ، والمباهاة ، والرياء ، والسمعة ، والاعراض عن الحق استكباراً والسفه ، والخوض ، فيما لايعنيه ، وكثره الكلام ، وفضول الكلام وفضول الطعام ، والصلف والمن ، والاذى ، واختبار الاحوال ، والتملك فى الامور ، والاقتدار فى الامور ، ونسيان النعمة ، وترك ذكر المنعم ، والعمى عن احسان الله وافتقاد الحزن من القلب ، والخشية ، والانتصار ، للنفس اذا نالها الذل وترك الانتصار للخلق واتخاذ اخوان العلانيه ، على عداوه في الشر ، والامن من لسلب ما اعطى ، ونزل الهوى حتى تشاركه فى الامور ، والانقياد للهوى ، وشهوة الكلام ، والشهوة الخفية ، والاتكال على الطاعات ، والهرب من المذل فى هجنه من الحق ، وطلب العز ، والمكر ، والخيانه ، والمخادعة ، وطول الامل ، والتجبر ، وعزة النفس ، وخوف سقوط

---

(١) يخلع العذار : يعصى ، يقال خلع عذاره كناية عن العصيان والعذار هو لجام الفرس .

المنزلة من عيون الخلق ، وذهاب ملك النفس اذا رد عليه قوله ، والتماس المغالبة لالله ، والقسوة ، والفظاظة ، وغلظ القلب ، وغيظ النفس ، والغفلة والامن والركون الى الدنيا ، وسوء الخلق ، والفرح بالدنيا والحزن على فواتها ، والانس بالمخلوقين والوحشة اذا عجز عن رؤيتهم والمراء[١] فى الكلام ، والحبقاء ، والطيش والعجلة ، والخفة ، والحقد ، والدهاء ، والجريرة ، وقلة الحياء ، وقلة الرحمة

فهذه أفاعى تجرى سمومها القاتلة فى ولد آدم ، حتى يجتمع بتلك السموم كلها على قلبه فأى ايمان يبقى هناك فلذلك تراه عاجزا عن افعال المتقين واقوالهم ، وهديهم ، وسبيلهم القول : قول المتقين والفعل ، فعل الظالمين

فكل داء من هذه الأدواء حريق لايوصف وصاحبها غريق فى اودية النيران، ان لم يعف الله فمن عقل من هذا . ثم نظر إلى نفسه فرآها قد تورع عن الزنا ، وقطع الطريق ، والكذب والنميمة واشباه هذا من الذنوب الظاهرة فركنت نفسه إلى ذلك ، ثم رأى نفسه مع تلك الأشياء عاجزاً عن أخلاق السادة مثل السماحة ، وحسن الخلق والرضا بالمقدور ، والثقة بالوعد، والرزق ، ورؤية المنة ، من الله عز وجل والتوكل والتفويض والتسليم لأمره ، والانقطاع اليه قلبا عن كل شئ يشغله عنه والتوقر والخشوع واكتساب[٢] لباس التواضع لله ، وهو مقبل على صوم لايخلوامن عيبته ،وصلاه لاتخلوا من وسوسة ، وصدقة لاتخلو [٣]منْ مَنّْ واذى ، او صلف [٤]او اعتياص [٥] وحج لايخلو من رفث ، وجهاد لايَخلو من صلف واعمال لاتخلو من سمعة ، ورياء .

وعجب قد اطمان الى تلك الاعمال ، واتخذها عدة دون الله لِيوم المرد الى الله ، ويوم فصل القضاء[٦] قد شغلتة[٧] شهوة الازدياد من حطام

---

(١) المراء فى الكلام : المجادلة حبا فى طبيعة الجدل .
(٢) وردت بالاصل هكذا (واكتسا) وهو سقوط من الناسخ .
(٣) وردت (يخلوا) وهو تحريف .
(٤) الصلف : الكبر والغرور .
(٥) اعتياص الامر : حزونته وصعوبته .
(٦) وردت بالاصل (القضا)
(٧) فى المخطوطة (سفلته) وهو تصحيف .

الدنيا(١) عن التهيئ بانفاقه ، وشغله انفاقه فى نهماته(٢) عن التهيئ لشكره ، وشغلته مصائب بقوتها عن مصائب ذنوبه وعيوبه ، همته نفسه ، وامامه هواه ، وهو فى سهو عنه لايتفكر فيما خلق له ولالماذا خلق ، ولا الى ما صار امره وعاقبته .

تم كتـاب الاكيـاس

والمغتـرين بعـون الله ومنـه

والحمد لله وحده وصلواته على سيدنا محمد

نبيه وآله وصحبه وسلامه

جاء رجل الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله ادبرت الدنيا عني وقلت ذات يدى ، فقال : أين أنت من صفوة الملائكة ، وتسبيح الخلائق بها يرزقون فقال عمر : رضى الله عنه ، ما هو يارسول الله : فقال ان تقول مابين طلوع الفجر رلى أن تصلى الغداه مادة مرة « سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم ، استغفر الله تأتك الدنيا وهى راغمة صاغرة(٣) وما من كلمة تقولها الا وتخلق منها تلك يسبح الله تعالى الى يوم القيامه ولك ثوابه .

قال رسول اله صلى الله عليه وسلم : « يقول الله سبحانه وتعالى لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن عذابى قيل يا رسول الله فما فضل من قالها قال «لايحصيه الا الله سبحانه وتعالى وانه من قال قبل ان يتوضا سبع مرات لا اله الا الله اعطى فى الجنه مقدار الدنيا عشرين مرة ».

روى انه شكا على بن ابى طالب رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انه ينسى القرآن ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤) قل اعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، ان الله هو السميع العليم ، واعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك ان يحضرون انت

(١) ما اجمل قول المؤلف (شهوة الازدياد من حطام الدنيا .

(٢) نهماته : جمع نهمة .

(٣) راغمة : مرغمة ، اي جائية منقادة وصاغرة : ذليلة .

(٤) ساقطة من الاصل .

السميع العليم ، اللهم نور بالقران صدرى واطلق بالقران لسانى ، واشرح بالقران صدرى وافرج بالقران عن قلبى واستعملنى ابدا ما ابقيتنى » قال فاذهب الله عنه النسيان .

اخر النسخة

تمت تصويرا بدار كتب الظاهرية

بدمشق الشام

فى يوم الجمعة المبـارك ٤ من جمادى الاخرى ١٣٦٦

الموافق ٢٥ من ابريـل ١٩٤٧

الفهـــرس

ظهر حديثا

المسائل الخمسون فى أصول الدين

للإمام فخر الدين الرازى

محمد بن عمر بن الحسين المتوفى سنة ٦٠٦

تحقيق

الدكتور أحمد حجازى السقا

المكتب الثقافى

للنشر والتوزيع